



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة زيان عاشور-الجلفة-  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



قسم التاريخ والآثار

## قضايا المرأة الجزائرية في اهتمامات الصحافة الإصلاحية

1954/1931

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر في التاريخ  
تخصص: تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية الجزائرية

تحت اشراف:

د- عبد العزيز نارة

إعداد الطاليتين:

✓ خولة صغير

✓ خيرة نقاب

السنة الجامعية

1447/1446 هـ - 2026/2025 م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## الإهداء

إلى من أوصانا الله بهما خيراً، إلى من كانا سندي وعونني في كل مراحل حياتي، إلى أبي الغالي وأمي الحبيبة، حفظكما الله وأدام عليّ نعمة وجودكما، أهدي ثمرة جهدي وتعبي.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء، الذين شاركوني كحظات الفرح والتعب، وكانوا دائماً مصدر دعم وتشجيع.

إلى أساتذتي الأفاضل الذين أناروا دربي بالعلم والمعرفة، فكان لهم الفضل بعد الله في وصولي إلى هذه المرحلة.

إلى صديقاتي وزميلاتي اللواتي رافقنني طوال مشواري الجامعي، شكراً لكل كحلة جميلة ولكل كلمة دعم صادقة.

وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، أهديكم ثمرة هذا الجهد المتواضع، راجيةً من الله التوفيق والنجاح.

## الاهداء

الحمد لله ربي العالمين . و الصلاة والسلام على خاتم الانبياء المرسلين

" ربي ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعلني من لدنك

سلطانا نصيرا. " الاسراء الآية 80.

أهدي ثمرة جهدي الي الوالدين الكريمين اطال الله في عمرهم . ومنبع املي

وصبري واجتهادي اخواتي الاعزاء . و الي رفيقات دربي الاوفياء .

خيرة

# الفهرس

## فهرس المحتويات

رقم الصفحة	المحتوى
	البسمة
	الشكر والإهداء
	ملخص الدراسة
	فهرس المحتويات
أ-ب	مقدمة
<b>الفصل التمهيدي: الإطار المفاهيمي والتاريخي لقضية المرأة الجزائرية</b>	
1	أولاً- المفاهيم الأساسية
1	1- مفهوم الإصلاح
4	2- مفهوم الحركة الإصلاحية
5	3- مفهوم جمعية العلماء المسلمين
<b>الفصل الاول: الأوضاع العامة للمرأة الجزائرية قبل 1831</b>	
9	أولاً-الوضع الاجتماعي
24	ثانياً-الوضع الاقتصادي
25	ثالثاً- الوضع السياسي والثقافي
31	رابعاً-السياسة الفرنسية اتجاه المرأة الجزائرية
<b>الفصل الثاني: الصحافة الإصلاحية كأداة لتغيير المجتمع</b>	
34	أولاً- الصحافة الإصلاحية الجزائرية و دورها في نشر الوعي
51	ثانياً- الصحافة الإصلاحية و قضية المرأة البصائر أنموذجا
53	ثالثاً- قضايا المرأة في الخطاب الإصلاحي
57	رابعاً- خطاب الشيخ عبد الحميد ابن باديس حول المرأة

الفصل الثالث: طور الخطاب الاصلاحى النسوى بعد الحرب العالمية الثانية	
63	اولا- التحولات الاجتماعية والسياسية
66	ثانيا- انعكاسات الحرب على دور المرأة الجزائرية
70	ثالثا- تنامي الوعي السياسى والحقوقى لدى النساء
74	رابعا- تغير الخطاب الاصلاحى حول المرأة
85	خاتمة
87	المصادر والمراجع

# مقدمة

تعتبر دراسة تاريخ الجزائر المعاصر مصدراً خصباً لفهم آليات التحرر البنيوي والاجتماعي الذي خاضه الشعب الجزائري ضد الوجود الاستعماري الفرنسي. ولم تكن معركة التحرير عسكرية فحسب، بل سبقتها ورافقتها معركة فكرية وثقافية قادتها النخبة الإصلاحية لإعادة بناء الهوية الوطنية وحماية مقومات الأمة من السياسات الاستعمارية الهادفة إلى التغريب والتجهيل.

وفي قلب هذا المشروع الإصلاحي، برزت "قضية المرأة الجزائرية" كأحدى الركائز الأساسية التي تداخلت فيها الأبعاد الاجتماعية، الدينية، والسياسية. فقد أدركت الحركة الإصلاحية، لاسيما ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورواد الإصلاح الآخرين، أن النهوض بالمجتمع وتجهيزه لمعركة التحرر لا يمكن أن يتحقق في ظل عزل نصفه أو تركه غارقاً في أمية فرضها المستعمر، وتغذت عليها بعض العادات البالية.

ومن هنا، وظفت الحركة الإصلاحية "الصحافة" كأداة إعلامية وتوعوية لكسر هذا الجمود. وتمثل الفترة الممتدة بين 1931 (سنة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) و1954 (سنة اندلاع الثورة التحريرية المباركة) العصر الذهبي لهذا الخطاب الصحفي الإصلاحي، حيث شهدت هذه المرحلة تحولات عميقة في كيفية تناول قضايا المرأة، انتقلت من مرحلة الدفاع عن حقوقها الأساسية في التعليم والحياة الاجتماعية، إلى مرحلة تشكل وعي سياسي وحقوقى نسوي واكب المتغيرات الدولية والوطنية عقب الحرب العالمية الثانية.

## اهمية الدراسة:

تكمّن اهمية هذا الموضوع عن مكانة المرأة الجزائرية في اتجاه الحركة الاصلاحية و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النهوض المرأة الجزائرية وترقيتها بالوقوف على اهم قضايا والمشكلات التي تعاني منها المرأة في ذلك الوقت.

## أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور الريادي للصحافة الإصلاحية في التمكين الفكري للمرأة الجزائرية، وتفكيك مضامين الخطاب الإصلاحي (جريدة البصائر أنموذجاً) للكشف عن الرؤية الاستشرافية لعلماء الجزائر في بناء مجتمع متوازن، بالإضافة إلى تتبع تطور الوعي النسوي الجزائري ومساهمته في التمهيد للثورة التحريرية.

## دواعي اختيار الموضوع:

تعود اسباب اختيارنا للموضوع الى دوافع موضوعية واخرى ذاتية:

### • اسباب موضوعية:

ايراز حضور المرأة الجزائرية في برنامج الجمعية الاصلاحية وتعاملها مع مختلف القضايا التي تحقق المرأة لمسألة التعليم ومسألة حجاب  
اظهار مدى اهتمام الصحافة الاصلاحية بتناول قضايا المرأة وكيف كان مسطرا تبنيها ضمن احد اهم جرائدها الا وهي جريدة البصائر.

• الاسباب الذاتية :

رغبنا ومبولينا لتناول مواضيع مهمة من عمق المجتمع الجزائري التي لم تحط بنصيب اوفر من الدراسة والمتمثلة في المرأة وما عايشته من ظروف في الفترة الموضوع الاحتلال الفرنسي.

الوقوف على جريدة الشهاب و البصائر اللذان يخدم الموضوع محاولة كشف اهم الاوضاع التي عايشتها المرأة الجزائرية .

الاطار الزماني والمكاني للدراسة:

الحدود المكانية:

يتحدد المجال الجغرافي لهذه الدراسة في "القطر الجزائري" بحدوده الإقليمية المعروفة إبان فترة الاحتلال الفرنسي.

ورغم أن الدراسة تركز على الفضاء الجغرافي الجزائري ككل، إلا أنها تولي اهتماماً خاصاً بالمراكز الحضرية والإصلاحية النشطة التي احتضنت المقرات الرئيسية للصحف المدرسية، والمنابر التوعوية، ومدارس البنات التابعة للحركة الإصلاحية (مثل: قسنطينة، الجزائر العاصمة، تلمسان، ومنطقة وادي ميزاب في الجنوب الجزائري).

الحدود الزمانية:

تمتد الدراسة زمنياً من سنة 1931، وهي سنة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي مثلت الإطار الفكري والتنظيمي للصحافة الإصلاحية، إلى سنة 1954 التي شهدت اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية، مما أحدث تحولاً في مسار الحركة الوطنية والإصلاحية.

**إشكالية الدراسة :** بناءً على ما تقدم، تتبلور الإشكالية المحورية لهذه الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

كيف ساهمت الصحافة الإصلاحية الجزائرية (1931-1954) في صياغة الخطاب الموجه للمرأة، وما هي طبيعة القضايا التي طرحتها لتغيير واقعها الاجتماعي والسياسي والثقافي؟

وينبثق عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية:

ما هو الواقع الاجتماعي والسياسي الذي عاشته المرأة الجزائرية قبل وأثناء السياسة الاستعراضية الفرنسية؟

كيف تناول رواد الإصلاح (ابن باديس، الإبراهيمي، أبو اليقظان، والشيخ بيوض) قضية المرأة في كتاباتهم وصحفهم؟

كيف تطور الخطاب الإصلاحي النسوي عقب الحرب العالمية الثانية استجابة للتحولات السياسية والاجتماعية؟

**خطة الدراسة :**

تم تقسيم هذه الدراسة وفق الخطة العلمية التالية:

الفصل التمهيدي: الإطار المفاهيمي والتاريخي لقضية المرأة الجزائرية

الفصل الأول: الأوضاع العامة للمرأة الجزائرية قبل 1931 والسياسة الفرنسية تجاهها.

الفصل الثاني: الصحافة الإصلاحية كأداة لتغيير المجتمع

الفصل الثالث: تطور الخطاب الإصلاحي النسوي بعد الحرب العالمية الثانية (1945 - 1954)

## الدراسات السابقة الموضوع:

لإنجاز هذه الدراسة لقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع نذكر مايلي. جريدة البصائر كمصدر اولي اساسي تقوم عليه هذه الدراسة كما اعتمدنا عن اهم المقالات التي تخص ونخدم بحثنا وكذلك جريدة الشهاب كمصدر ومن اهم الكتب التي اعتمدنا عليها في موضوعنا نذكر اهمها:

ابو قاسم سعدالله تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 6. عبد الكريم بوصفصاف الفكر العربي الحديث و المعاصر الجزء الاول محمد البشير الابراهيمي أثار محمد البشير الابراهيمي الجزء الاول وغيرها من الكتب.

## المنهج المتبع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي و الذي يعد المنهج الأم في هذه الدراسة، وتتجلى أهميته في تتبع التطور الزمني والموضوعي لواقع المرأة الجزائرية، ورصد مسار الحركة الإصلاحية وصحافتها خلال الفترة الممتدة من 1931 إلى 1954. و المنهج التحليلي نظراً لأن الدراسة تتعامل مع مادة إعلامية وصحفية (كجريدة "البصائر" وصحف الرواد الإصلاحيين)، وكذلك المنهج الوصفي لوصف الظواهر الاجتماعية والثقافية المحيطة بالمرأة الجزائرية بدقة.

## اهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة والقيمة التي ساعدتنا في عرضنا هذا البحث العلمي نذكر منها:

جريدة الشهاب. قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب 1925 / 1939م.  
د مراد قبال جامعة خميس مليانة. الجزائر المجلد التاسع العدد الاول ص 217  
238. حيث تناولت الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية التي عايشته.

بوصفصاف عبد الكريم الفكر العربي الحديث و المعاصر الجزء 1 دار الهدى الجزائر 2005م ص. 108. حيث تحدث عن الوضع الاجتماعي و الاقتصادي التي عايشته المرأة.

روبير اجيرون شارل الجزائريون وفرنسا 1971\_ 1919 الجزء 2 ترجمة محمد حاج مسعود واحمد بكلي دار الرايد الجزائر 2007ص393. حيث تحدث عن الوضع الثقافي المرأة الجزائرية .

مجلة الشهاب لابن باديس مقال المرأة الجزائرية 1929 يصف الواقع الاجتماعي المرأة الجزائرية.

**صعوبات الدراسة:** ككل بحث علمي لا يخلو من الصعوبات وقد اعترضنا نحن ايضا أثناء انجازه حيث تتمثل في. عدم ايجاد بعض المراجع التي تمكننا والخدمة للموضوع بسبب قلة تواجدها تداخل مواضيع المرأة وتشبعها في المقالات مما يصعب علينا فرزها وتصنيفها.

## الفصل التمهيدي

الإطار المفاهيمي والتاريخي لقضية المرأة

الجزائرية

## أولاً- المفاهيم الأساسية

## 1- تعريف الإصلاح:

أ/لغة: جاء في لسان العرب في مادة "صلح" ان الإصلاح ضد الفساد، صلح يصح صلاحاً وصلوحاً والجمع صلحاء وصلوح والإصلاح نقيض الفساد وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه.<sup>1</sup>

ب/اصطلاحاً: المصطلح هو الذي يقوم بالإصلاح مجرداً عن الهوى والنفعة الشخصية الخاصة به تشبهاً بالأنبياء عليهم السلام وهو تغيير جذري شامل لكل جوانب الحياة الى حد اتبعت ولادة جديدة للفرد والمجتمع والأمة.<sup>2</sup>

وأيضاً يقصد به التقويم والتحسين والتغيير ويقابله الفساد قال تعالى "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون".<sup>3</sup>

وفي آية أخرى قال تعالى: "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون".<sup>4</sup>

والإصلاح أيضاً مناقض للفساد الاجتماعي وإقامة مجتمع بديل عنه يبنى على أسس فكرية سليمة تنشأ عنها سلوكيات صحيحة تشمل جميع المظاهر الاجتماعية.

وكان ذلك استناداً لقوله تعالى: "من كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً"، تعد كلمة الإصلاح من أهم ما احتوته الحضارة العربية الإسلامية على مدى تاريخها

<sup>1</sup>ابن منظور، لسان العرب، م2، دار الصادر للتوزيع، بيروت، ص517.

<sup>2</sup>عليوات السعيد، فلسفة ابن باديس في الإصلاح المفهوم، مجلة المعيار، عدد42، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2017، ص02.

<sup>3</sup>الآية 11 سورة البقرة.

<sup>4</sup>الآية 48 سورة الأنعام.

وذلك أن القرآن الكريم قد ساهم في نشر فكرة الإصلاح بين الجماعة الإسلامية<sup>5</sup> ومن بين الآيات القرآنية في هذا السياق نذكر سورة هود الآية 88 "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".<sup>6</sup>

إذ تعود أصول حركة الإصلاح في تعاليم الإسلام نفسه أما مفهوم الإصلاح عند جمال الدين الافغاني هو اصلاح العقول والنفوس أولا ثم اصلاح الحكومة وربط ذلك بالدين ويرى ان اصلاح الحكومة يكون عن طريق اصلاح الشعب<sup>7</sup>، والإصلاح عند محمد عبده<sup>8</sup> (\*\*\*) هو اصلاح الدين واللغة والأدب وإصلاح السياسة<sup>9</sup> والإصلاح هو تحسين أمر من الأمور تدريجيا للحصول على نتائج أفضل مثل: الإصلاح الاجتماعي والسياسي وتقايله الثورة.<sup>10</sup>

<sup>5</sup> عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس)، ج01، ط1، دار المداد، 2009، ص268.

<sup>6</sup> سورة هود الآية 88.

<sup>7</sup> جمال الدين الافغاني (1839/1897) كان يرمي إلى إصلاح العقول والنفوس وهو أفغاني الأصل شريف النسب ينتمي الى الحسن بن علي ودرس في الهند الرياضة على الطريقة العصرية وتعلم الفرنسية وهو كبير أنظر أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط03، القاهرة، مصر مكتبة النهضة المصرية، ص ص 59-60.

<sup>8</sup> (\*\*\*) محمد عبده (1849-1905) ولد في أسرة طيبة وعريقة في العلم بحيث ساعدت بيئته العلمية على نشأة ونبوغه تعلم في الكتاب ثم التحق بالأزهر الشريف (المعهد الديني) ثم أرسله الأحمدي بطنطا لقرية من بلده وله كتاب في الفقه والنحو أيضا أنظر: محمد عمارة، شخصيات لها تاريخ 40 شخصية، ب ط، القاهرة مصر، دار السلام، 2005، ص ص 188-189.

<sup>9</sup> أحمد أمين، مرجع سابق، ص63.

<sup>10</sup> عجال عجال، الفكر الإصلاحي في الجزائر (الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد)، الجزائر، وزارة الثقافة، 2007، ص32.

والإصلاح عند الشيخ عبد الحميد بن باديس هو التطور والمواظبة والإرشاد والتوعية من أجل التغيير والتحسين في مختلف الاتجاهات سواء الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية وفي السياسة.<sup>11</sup>

#### أ/اللغة:

لقد تعددت تعاريف الإصلاح في مختلف المجالات والموسوعات من مفهوم الآخر فنجد في مجلة ديالي قد عرفت الإصلاح في اللغة على أنه ضد الفساد أو ضد الشيء ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصالح نفسه والإصلاح هو نقيض الفساد وأصلح ذا بينهما من عداوة وشقاق ونجد أيضا موسوعة إصلاحات العلوم والفنون عرفت الإصلاح بأنه فعل مشتق من الصلح بالضم وسكون اللام في اللغة: إسم من المصالحة خلاف الخاصة مأخوذة من الصلاح وهو الاستقامة ويقال صلح الشيء إذا زاد عنه الفساد وهنا الإصلاح مأخوذ من الصلاح والمصالحة والاستقامة وهو نقيض الفساد والإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة إعتداله بإزالة ما طرأ من فساد.

#### ب/إصطلاحا:

لقد ورد مصطلح الإصلاح في عدة مواضيع منها نذكر القرآن الكريم مثل قوله تعالى: " لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة او معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما".<sup>12</sup>

<sup>11</sup> عبد الله نجم عمر، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، "مجلة ديالي"، العدد الثاني والعشرون، كلية التربية، الأصمعي، 2008، ص01.

<sup>12</sup> محمد علي التهنوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ج02، (د-ب-ن)، 1997، ص221.

وهذا يدل على أن ظهور مصطلح الإصلاح يعود الى تعاليم الإسلام فمفهوم الإصلاح مفهوم إسلامي وأصيل ورد ذكره في القرآن الكريم كقيمة جوهرية تكررت مادتها(صلح) فيه 180 مرة.

وأكدت السنة النبوية أن التجديد والإصلاح عادة ربانية متواترة في عالم كل ما فيه مرشح للفساد وهذا ما جاء في الحديث أن النبي صلي الله عليه وسلم: " **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها ....**

فالإصلاح هو كل سلوك تستقيم به الحال على ما يدعوا إليه الشرع والعقل وتتحقق به المصلحة والإصلاح مظهر من مظاهر الوعي بالذات حين تواجه موقفا مترديا متأزما وتهدف إلى إصلاحه وتطويره وشهد تاريخ الإسلام عبر تحولاته حركة إصلاحية لدعم الحضارة الإسلامية وتوجيهها الوجهة الصحيحة وترسيخ منهج الله في الأرض وعقيدة وشريعة.

## 2- مفهوم الحركة الإصلاحية:

1- التأثير الكبير الذي كان لرجال الطرق وشيوخ الزوايا على الناس في المجتمع الجزائري ظاهرة على انتشار الحركة الإصلاحية التي كانت ابتدأت مع محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الافغاني ثم انتشرت تلك الأفكار في العالم الإسلامي وشاعت بين الأوساط الشعبية المثقفة عن طريق وسائل مختلفة وعرفت الجزائر الفكرة الإصلاحية منذ نهاية ق التاسع عشر<sup>13</sup>، وتؤكد ذلك بصورة واضحة بعد زيارة الشيخ

<sup>13</sup>أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائدا الشعر في العصر الحديث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1988، ص105.

محمد عبده إلى الجزائر في سبتمبر 1903، وكان لهذا السفر بعد معنوي هائل خاصة على علماء الدين والمثقفين الذين كانوا يشكلون حزب محمد عبد الجزائر<sup>14</sup> بحيث ازدادت الحركة الإصلاحية شيوعاً وانتشاراً بعد أن صدع بها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 1925 ثم تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931 والتي عملت على إحياء العقيدة والأخلاق الإسلامية الخالصة من كل الشوائب البالية.<sup>15</sup>

2- يقول البشير الإبراهيمي في هذا السياق إن لفظة حركة في العرف العصري لا يطلق إلا على مبدأ تعتقد جماعة وتتساق لنصرتة ونشره والدعاية والعمل له عن عقيدة وتهيئ له نظاماً محددًا وخطة مرسومة وغاية مقصودة، وكثير ما تعرف بأنها ذلك النشاط الديني الثقافي والحيائي والتقويمي تهدف إلى الإصلاح وهذا ما أعربت عنه دعوات حركة إسلامية وانبثقت من داخل العالم الإسلامي في العصور الحديثة وحددت أهدافها ضمن محاولتها التجديد والبعث والحضارة الإسلامية في مواجهة التحديات الأوروبية القارية بجيوشها وبضاعتها وأنظمتها وأفكارها.<sup>16</sup>

فالحركة الإصلاحية الإسلامية هي حركة تهدف إلى تغيير حالة المجتمعات وإخراجها من التخلف والجهل والسير بهم نحو التقدم والتغيير والتجديد وإحياء للحضارة العربية الإسلامية والإسلام في الحضارة الحديثة.<sup>17</sup>

<sup>14</sup> علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925-1940)، ترجمة محمد يحياتن، ط02، الجزائر، دار الحكمة، 1998، ص36.

<sup>15</sup> كمال عجال، الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص40.

<sup>16</sup> بشير بلاح، مواقف الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، 1926-1939، عالم المعرفة، الجزائر، ص15.

<sup>17</sup> عباس أرحيله، حركة الإصلاح في العالم العربي، مدونة الكاتب والفكر العربي عباس أرحيله: <http://jbbdsdthila.blogspot.com> يوم 10-11-2018 على الساعة 15:38.

## 3- تعريف جمعية العلماء المسلمين:

برزت الجمعية الى الوجود كحركة إسلامية ذات جذور إجتماعية قوية وذلك في إطار الصحوة الإسلامية وحركات التحرر العربية فقد ظهرت في الوقت الذي تكثر فيه الحديث عن اندماج الجزائر في فرنسا والدعوة للتخلي عن الهوية الإسلامية للحصول على الجنسية الفرنسية،<sup>18</sup> حيث جاء المرجع فيها العودة إلى نصوص الدين من كتاب الله وصحيح السنة وإجماع السلف.

بدا التفكير في تأسيس جمعية العلماء في 1913م في المدينة المنورة بين ابن باديس والابراهيمى كما ذكرنا قبلا وكان هذا التأسيس ضرورة ملحة خدمتها ظروف الجزائر التي أشرنا إليها في بداية حديثنا عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جوهرها هي هيئة للدفاع عن الإسلام والعروبة تتميز بالقوة والتنظيم وهي حسب الابراهيمى: "جمعية علمية دينية تهذيبية" تعلم وتدعو الى العلم وترغب فيه كما تدعو الى مكارم الاخلاق وتحارب الآفات الاجتماعية، " والجمعية فيما وراء هذا مرتبطة بالعالم الإسلامي.... وفيها عدا هذا فالجمعية جزائرية محدودة في حدود الجزائر".<sup>19</sup>

"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها واعمالها جزائرية في مدارها وأوضاعها علمية في مبدئها وغايتها" ليست حركة جمعية العلماء المسلمين حركة دينية محضة بالمعنى المفهوم من أمثالها في الشرق الإسلامي وإنما هي حركة علمية لها طرفان أحدهما الدين بعقائده وأخلاقه وفضائله وروحانيته والثاني الدنيا بقوتها ومالها وعزها وسيادتها وعلومها ولا فاصل بين الطرفين".

<sup>18</sup> محمد بن ساعو، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية (1954-1962)، دار الامة،

ص ب 109 برج الكيفان 16120 الجزائر، الطبعة 2016 سنة 2014، ص 17.

<sup>19</sup> محمد بن ساعد مرجع سابق، ص 19.

وبهذا فان الجمعية هي حركة إصلاحية تلتقي مع مدرسة التجديد الإسلامي في العصر الحديث التي تزعمها مصلحون مجددون أمثال محمد عبده وجمال الدين الافغاني ورشيد رضا..

ارتبط تأسيس جمعية العلماء جملة من الظروف والعوامل المحلية والعالمية كظهور الفكر الإصلاحي بالشرق العربي ويزور شخصيات إصلاحية تبنت أفكارا عصرية مثل محمد عبده وما ساهم في انتشارها بالجزائر هي الصحف والكتب وفي يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349هـ/05 ماي 1931 على الساعة 08:00 صباحا اجتهد 72 عالما من القطر الجزائري من أجل تأسيس الجمعية<sup>20</sup> ومن خلال ما تقدم ذكره فإنه لا يمكن ربط سبب ظهور الجمعية باحتفال الفرنسيين بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر فقط علما أنه خلال هذا الاحتفال أعلن الكاردينال لافيغري.

ظهرت في الثلاثينات من القرن 20م تيار حركة إصلاحية في الجزائر عرفت بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 05 ماي 1931 بقيادة نخبة مستتيرة من العلماء الجزائريين يتزعمهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي مهد لها بجهوده الفردية وإلى جانبه خاض معاركها ثلة من رفاقه العلماء الجزائريين أصحاب النزعة الإصلاحية والفكر النهضوي في البلاد وهي تعد أول هيئة علمية منظمة في الجزائر.<sup>21</sup>

<sup>20</sup> محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص19.

<sup>21</sup> جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص76.

## الفصل الاول

الوضع العام للمرأة الجزائرية قبل 1831

**تمهيد:**

شهدت الجزائر خلال أواخر ق19 وبدايات القرن 20 أوضاعا اجتماعية واقتصادية وثقافية معقدة في ظل الاستعمار الفرنسي ما انعكس بوضوح على وضعية المرأة الجزائرية ومكانتها في المجتمع فقد عانت المرأة من آثار تهميش النزوح، تهميش ناتج عن السياسات الاستعمارية التي سعت الى تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري وتهميش مرتبط ببعض العادات والتقاليد التي حدثت عن مشاركتها الفاعلة في الحياة العامة.

اجتماعيا كانت المرأة الجزائرية تعيش في إطار أسري محافظ حيث انحصر دورها غالبا في تسيير شؤون البيت وتربية الأبناء مع انتشار الامية بين النساء نتيجة ضعف فرص التعليم خاصة في المناطق الريفية غير أن التحولات التي عرفها المجتمع بفعل الاحتكاك بالثقافة الأوروبية وبروز الوعي الوطني بدأت تفتح آفاقا جديدة أمامها فظهرت دعوات إلى تعليم الفتاة وإصلاح أوضاع الاسرة.

اقتصاديا تأثرت المرأة الجزائرية بالسياسات الاستعمارية التي افقرت فئات واسعة من الشعب الجزائري بعد مصادرة الأراضي وفرض الضرائب فاضطرت الكثير من النساء خاصة في الأرياف الى العمل في الزراعة والاعمال الحرفية لمساعدة أسرهن بينما ظهرت في البلدان فئات من النساء العاملات في الخدمة المنزلية لمساعدة أو في المهن البسيطة ومع ذلك ظل عمل المرأة غير منظم وغالبا غير معترف به رسميا.

ثقافيا لعبت الحركة الإصلاحية الجزائرية دورا مهما في إعادة الاعتبار للمرأة إذ ركزت على ضرورة تعليمها وتوعيتها دينيا وأخلاقيا باعتبارها أساس تكوين الأجيال وقد قاد هذا التوجه عدد من رواد الإصلاح مثل عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمي من خلال جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1931 حيث دعت إلى نشر التعليم

العربي الإسلامي وفتحت المجال أمام تعليم البنات وأكدت على دور المرأة في الحفاظ على الهوية الوطنية.

### أولاً: الوضع الاجتماعي

ان الوضع الاجتماعي المتردي الذي عاشه الشعب الجزائري في ظل الحكم الفرنسي ألقى بظلاله على حياة المرأة الجزائرية المسلمة فأثر عليها مباشرة بإعتبارها الحلقة المفصلية في الصراع القائم بين المحتل والجزائري أسلوب الحرية والاستقلال حيث عانت المرأة الجزائرية لسلسلة من ظروف صعبة ميزت يومياتها بالحرمان والفقر بل كان لها المقدار الأكبر من القهر والجوع تحديدا في فترات المجاعة وحيث الم بها العديد من الامراض والمحن فقد فرضت عليها حياة خانقة يمنعها من الخروج خاصة في المدن ما عدا حضور حفلات الاعراس أو الحمام ويستثنى في ذلك المرأة الريفية التي كانت تشارك الرجل أعماله لا سيما أوقات جني الثمار والحصاد.<sup>1</sup>

والأكثر من هذا فقد جعل منزلها بمثابة سجن لا تغادره من يوم زواجها الى غاية وفاتها، وقد وصل بهن الامر إذا تلفظ الرجل بكلمة المرأة أو الزوجة خارج بيته يقول لمخاطبيه أكرمكم الله او حشاكم فهي تمثل قلة إحترام له نتيجة سيطرة المجتمع الذكوري بتقاليده وعاداته البالية التي ليس لها علاقة بالدين الإسلامي الحنيف وبعيدة عن الرقي والحضارة.

<sup>1</sup>زهير بن علي، قضايا المرأة ضمن اهتماماتها الحركة الإصلاحية الجزائرية (1925-1954)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2015، ص24.

كما خلف بروز الفكر الطرقي الشعوذة أثره البالغ في توجيه أفراد المجتمع الجزائري عامة والنسوة خاصة فهن أكثر تأييدا واعتقادا به بسبب جهلن لأصول الدين الصحيح ولطبيعتهن العاطفية لأنهن نشأن على ممارسة أساليب الدروشة والخرافات والبدع الباطلة.<sup>1</sup>

لم نفرق في ما مضى بين تعليم الطفل والطفلة لأن الإهمال شملهما معا وكان تعليم البنات اقل انتشارا أيضا في العهد العثماني كما لاحظنا في جزء آخر من هذا الكتاب وما دام المحتلون الفرنسيون قد اتبعوا سياسة التجهيل نحو الجزائريين فلا تنتظر منهم أن يخصصوا البنات بالتعليم دون البنين أو يسووا بينهم وضع ذلك نلاحظ انه عند البدء في نشر التعليم الفرنسي كان التركيز على البنين دون البنات وسنذكر الاحصائيات التي تدعم ذلك وجدير بالذكر ان تحفظ الجزائريين من التعليم الفرنسي في البداية كان خوفا على مصير أبنائهم جميعا ولا سيما البنات ولعل هذا التوقف كان من بين الأسباب في تأخير دخول البنت الى المدرسة ومن جهة أخرى فإن المجتمع الفرنسي نفسه كانت له تحفظاته على تعليم المرأة عموما لا سيما قبل عهد الجمهورية الثالثة اما بعد ذلك فقد لاحظنا أن اعداد البنات الفرضيات في المدارس كانت تفوق عدد البنين أحيانا وكان الفرنسيون قد أسسوا مبدأ التعليم الاجباري للجنسين من قومهم منذ بداية الثمانينات اهتم الفرنسيون بالبنت المسلمة من وجهين الأول كونها المدخل الأساسي الاسرة الجزائرية ونشر التأثير الفرنسي عن طريقها بعد ان ظل الرجال ومن ورائهم النساء حاملين علم الثورة والمقاومة والمقصود بالرجال هنا كل البالغين أو الذين وصلوا من السادسة عشر وكان أهل المدن أكثر هدوءا بعد الاحتلال من اهل الأرياف والقرى وقد سيطر الفرنسيون على الإدارة والأسواق والتجارة والسفر وانحصر المواطنون الذين لم يهاجروا في المدن التي تفرنست في مظاهرها بالتدرج سيما الجزائر ووهران وعنابة وبجاية فقد أصبح الجزائريون أقلية وسط اغلبية

<sup>1</sup> عبد الكريم بوصفاف، الفكر العربي والحديث والمعاصر، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص108.

فرنسية أو متفرنسة جاءت من مختلف أنحاء أوروبا وبذلك اصبح الطريق للتوغل الحضاري الفرنسي ممهدا في المدن المذكورة منذ الاربعينات والوجه الثاني هو أن المرأة عامل اقتصادي هام وكان الفرنسيون قد هدموا الأسواق التقليدية البازارات حيث الكتب والملابس والحلي والاعطور والمصنوعات الجلدية والحريرية الخ، وهي المنتجات التي كانت تمثل الصناعات التقليدية وتنشط الاقتصاد المحلي وقد تعود الاوربيون على شراء هذه المصنوعات على أثر الاحتلال وقبل الهدم ولذلك فكر بعض الفرنسيين في احياء هذه الصناعة عن طريق المرأة وبواسطتها يتحقق الهدف الآخر أيضا وهو نشر التأثير الفرنسي في الاسرة وترويج اللغة الفرنسية.<sup>1</sup>

ولم يفتح الفرنسيون مدرسة رسمية لتنشيط الصناعات التقليدية في البداية وانما تركوا بعض المغامرات الفرنسيات يقمن بذلك ثم اعترفوا بجهودهن وقدموا لهن التسهيلات كان النساء الفرنسيات والزائرات الاخريات يبكين حالة المرأة المسلمة في الجزائر فهي في نظرها مسكينة وجاهلة ومحرومة من متع الحياة وهي ضحية الرجل الذي كان يشريها بدراهمه هكذا يسمون المهر وهي راضية بالطلاق وبالعمل الشاق والزواج عليها بضرة وهي مستسلمة للقدر والمكتوب والتقاليد ويعرف تاريخ المرأة في الجزائر أسماء العديد من النسوة اللاتي نصبن انفسهن للدفاع عن حقوقها المدنية والاجتماعية دون السياسة طبعاً ومن هؤلاء آليكس في أول الاحتلال وماري بوجيخا ف أواخر الاربعينات(حوالي 1846 أنشأت آليكس معهداً أو مدرسة صغيرة لتعليم البنات المسلمات الفرنسية والعربية بعد أن ذهبت لزيارة البيوت والاتصال بالأمهات كان ذلك في عهد المارشال بوجو وهو العهد الذي بدأت تشيع فيه فكرة التوغل السلمي داخل المجتمع الإسلامي وهو ما يسميه البعض أيضاً الاحتلال المعنوي وقد اعتبرت السيدة آليكس مشروعها ثورة في حد ذاته ذلك أن البنات هن أمهات المستقبل وأن الحضارة الفرنسية أكثر عملية من

<sup>1</sup>أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص441.

الحضارة الإسلامية وان تعليم البنات المسلمات على جانب خطير من الأهمية في نظرها وفي تقرير كتبه الى الإدارة بالجزائر إدارة بوجو طلبت منها المساعدة والتأييد ولم يذكر التقرير 1846 متى فتحت المدرسة ولا عدد التلاميذ غير انه أشار الى ان النجاح كان إلى ذلك الوقت غير وهذا من المدارس يسميه الفرنسيون مدارس خاصة ولا شك أن السيدة أليكس وهو اسم زوجها كانت تعلم البنات اللاتي التحقن بورشتها اللغة الفرنسية بالدرجة الأولى وكذلك الطرز وأشغال الابرة.

وحوالي نفس الفترة (يناير 1844) وجدنا الحاكم العام بوجو قد رخص بإنشاء مدرسة ورشة للبنات المسلمات في مدينة الجزائر وكانت تضم ستين تلميذة فقط، وكانت بدون شك هو مؤسسة أليكس نفسها فقد أعطيت الضوء الأخضر لاحتلال المعنوي واعطيت أيضا المساعدة اللازمة لذلك لاندرى درجة النجاح بعد ذلك وكانت هذه السيدة المولودة سنة 1804 قد جاءت الى الجزائر هاربة بالروح كما يقولون بعد زواج فاشل وعاشت فيها باحثة عن لقمة الخبز في أي مكان تجده إلى أن وجدته في مشروع الورشة الذي يخدم بلادها وحضارتها عن طريق البنات المسلمات والتسرب عن طريقهن إلى المجتمع الجزائري.<sup>1</sup>

وقد دام مشروعها مدة طويلة وكان نموذجا احتذاء غيرها أيضا كانت تسمى مدام لويس او الأنسة يوجين بيرلو وكان أبروها كاتبا في بلدية تورين فرنسا فاستفادت من مكتبة وكان تعليمها غير منتظم وقد عاشت في الحقبة الرومانتكية التي اشتهر المنظمون اليها بحب الطبيعة

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 441.

والحقول والمغامرة في المجهول ومن بين ما اشتهر به الرومانتيكيون أيضا الرغبة في معرفة الشعوب الأخرى البدائية وأنماط عيشها.<sup>1</sup>

عالجت صحيفة الشهاب مواضيع اجتماعية هامة كقضية المرأة المسلمة الجزائرية وأيضا قضية السفور وضرورة إعادة الاعتبار للمرأة الجزائرية وتهذيبها لأهميتها في بناء المجتمع الجزائري المسلم باعتبار ان الاسرة هي الخلية الأساسية في بناء المجتمع السليم وما يزيد من أهمية هذه المسألة هو ان عدد النساء في كل بلد يقدر بنصف سكانه على الأقل وبقاؤهن في الجهل والسلبية والتواكل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف المجتمع وفيه من الهزيمة لعمل ونضال الرجل نفسه نسبة كبيرة.

ان وضع المرأة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية جزء لا يتجزأ من الوضع العام الذي كانت عليه الجزائر ككل من جهة ووضع الانسان الجزائري من جهة أخرى.

وقد ظلت الحركة الوطنية عامة والحركة الإصلاحية خاصة تطالب برفع القيود والحواجز أمام المرأة الجزائرية التي حرمت من كل الإصلاحية خاصة تطالب برفع القيود والحواجز أمام المرأة الجزائرية التي حرمت من كل شي ما عدا قدرة الانجاب ونتيجة ذلك أصبحت فريسة سهلة للخرافات والبدع والسحر والشعوذة واصبح نشاطها الاجتماعي يدور حول نقل الاحجبة وحرق البخور وزيارة الاولياء والقبور ويؤكد هذا وضع الأستاذ أحمد توفيق المدني بقوله: تمتاز المرأة المسلمة في قطر الجزائر بالجهل العظيم فإنها تمتاز بخلال كريمة وسجايا طيبة فهي محافظة أتم المحافظة على التقاليد القديمة والعادات التي ورثتها عن الاسلاف وهي مسلمة متينة الايمان ثم هي زوجة أمينة صورة وفيه تشاطر زوجها الام الحياة دون جزع.

<sup>1</sup> مراد قبّال، قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب (1925-1939)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 01، مجلد 09، دار النشر، جامعة خميس مليانة، الجزائر بدون طبعة، 20-09-2021، ص 218.

وينحو مالك بن نبي في نفس المنحى حيث يبين أوجها أخرى الوضعية للمرأة فيقول: لقد كان المجتمع الجاهلي كله تحت سلطة الذكر، وقد كان فيه ما فيه من قسوة وفيه ما فيه من نزعة التحطيم المولودة كانت توأدينها أبوها وحين جاء الإسلام في الذكر دوافع الجفاء والتحطيم ولم يترك له الا قدرة التغلب على النفس وقدرة التنظيم والتوجيه فكون بذلك مجتمعا تتمتع فيه المرأة بكثير من الحقوق مقابل بعض الواجبات حتى أن الفقه الإسلامي لم يفرض عليها الا واجب الزوجية أما الواجبات المنزلية كالغسيل والطبخ فإنها ليست مطلوبة منها وقت الرضاعة ليست فرض عليها بل على الزوج أن يأتي بمرضعة لولده إننا لا نند البنات اليوم لأن قانونا ورثناه عن الإسلام لازال يمسكنا ولأن قانونا جنائيا يضعنا عند حدنا ولكن اذا لم ندفنهن على قيد الحياة في التراب فإننا ندفنهن في الجهل، "ويشخص الشهاب واقع المرأة الجزائرية في ذلك العصر فيقول: "أما هنا عندنا فقد بلغ من خفوت صوت المرأة وعزلنا لها من الحياة العامة أن أصبحت مع الجهل الذي ترتع في بحبوحته لا تشعر بشئ يقال حولها ولا تهتز إلا إذا اهتزت جدران البيت لها".<sup>1</sup>

ورغم جهل المرأة وحالة التخلف والجهود التي تجرعت منها أكبر من أخيها الرجل بسبب وضعها داخل البيت فإن كفاحها ضد عمليات القمع والتشويه خلال الفترة الاستعمارية ينقسم إلى نوعين إثنين.

أولهما: كفاح ظاهر مباشر ويتمثل في التظاهرات والتنظيمات والنقاشات الحزبية والاصلاحية. ثانيهما: كفاح غير مباشر وغير ظاهر وهو ذلك الموقف الإيجابي الذي وقفته كمسؤولة عن مقومات الاسرة وعاداتها وتقاليدها الروحية والحضارية وبالتالي موقفها إزاء مقومات وخصائص المجتمع ككل حيث أشاحت بوجهها عن كل ماهو أجنبي واستعماري بما في ذلك الثقافة والتعليم

<sup>1</sup>مراد قبّال، قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب (1925-1939)، نفس المرجع، ص219.

منقطة لدور الاغراء والاثارة الذي يمثله المستعمر معها قصد كسب ثقتها لانها على رأس خلايا المجتمع لذا رأى أنه لا طريق أحسن وأضمن للوصول إلى تعبير شخصية وأصالة ومميزات هذا الشعب إلا بالاستيلاء على عقل المرأة لتكون بعد ذلك أداة لتحويل الأسرة وبالتالي المجتمع عن هذه الأصالة.

وانطلاقا من هذا الحال المزري والتدني الذي آل إليه حال المرأة الجزائرية راح رجال النهضة والعلماء المصلحون يعملون على التخفيف من هذه المعاناة ويدعون في خطاباتهم إلى وجوب إصلاح شؤونها ومن خلال الأخذ بيديها وتقدير شخصيتها حق قدرها فهي الأم والبنات والأخت وشريكة الحياة وقد كانت محاربة الاستعمار عن ابن باديس وعند الحركة الإصلاحية عامة تعني التخطيط الشامل لمقاومته في كل ميدان ومحاربه بكل وسيلة فهو أي ابن باديس لا يتردد في الإعلان منذ عام 1928م عند المرأة " الجاهلية التي تلد أبناء الأمة يعرفونها مثل امهاتنا عليهن الرحمة خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناءه يعرفونها وهذا لأن ابن باديس تبين على أبواب الذكرى السنوية للاحتلال الفرنسي للجزائر (سنة 1930م) قيمة الدور الذي تلعبه المرأة في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية وذواتها وأن ذلك يمثل سلاحا خطيرا في يد الاستعمار فمن بين المواضيع التي كانت تدور حولها المناقشات آنذاك في الأوساط الفرنسية هو دعوة المرأة الجزائرية إلى الدراسة في المدارس الفرنسية وعلى الرغم من أن نظرة ابن باديس إلى المرأة كانت نظرة تقليدية فقد استطاع في مقال "الرجل السلم الجزائري" أن يكشف عن حقيقتين هامتين:

الأولى: نفاق الذين يدعون الى تعلم المرأة في المدارس الفرنسية، متعمدين السكون عن الدعوة إلى تعلم الرجل.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>مراد قبّال، قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب (1925-1939)، مجلد 01، نفس المرجع، ص220.

الثانية: إحساسه بالدور الذي تقوم به المرأة في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية وما يترتب على تعلمها في مدارس فرنسية بخطط الاستعمار برامجها من مسخ لشخصيتها سوف يمتد الى الجيل الذي تربيته بعد ذلك، وقد أكدت الأيام صحة نظرية ابن باديس حيث استطاع ملاحظ دقيق مثل الدكتور فرانس فانون أن يتأكد عام 1957م من الحقيقة التي كشفها ابن باديس عام 1925م إذا كتب الدكتور فانون في عدد "المقاومة الجزائرية" الصادر بتاريخ 16 ماي 1957م يقول: " لقد وصف المفكرون الاستعماريون المرأة الجزائرية بأوصاف مختلفة أنهم يزعمون أنها أسيرة مهانة متغيبية عن الحياة وأن المجتمع الإسلامي لم يترك لها أب إزدهار ولم يمكنها من أي نضج وأنه يجبرها على أن تقبع في طفولة دائمة، إن مثل هذه المزاعم قد تحطمت اليوم بفضل التجربة الثورية فتعلق المرأة الجزائرية بينهما لم يكن يعني كراهية الشمس أو الهروب من العالم ذلك الانغلاق والانطواء كان يعني المحافظة على بذرة الاخصاب داخل وجود محدود لكنه منسجم ويمثل القوة الأساسية للشعب المضطهد".

إن تطور المجتمع يرتبط فعلا بتطور المرأة والعكس صحيح، وإن الأصل فيها تشهده ويؤيده الاختبار التاريخي، من التلازم بين انحطاط المرأة وانحطاط الأمة وتوحشها بين ارتقاء المرأة وتقدم الأمة ومدنيتها.

يقول الشهاب: كنا ننادي بأن المرأة المسلمة في ميس الحاجة إلى الوعظ لأن النساء أمهات أولادنا ومربيات أكبادنا، وقد قاسينا من جهل المرأة الكثير المخيف وضعف الأمة المرعب يرجع في مجموعة إلى عدم إستعداد النساء لأداء وظيفتهن العليا.<sup>1</sup>

وحسب الشهاب فإن العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في الخلق والتكليف وشريكته في البيت والحياة ويؤكد على أنه قد آن الأوان لنرى أمهات صالحات يملأن البيت بهجة ونورا

<sup>1</sup> مراد قبّال، قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب (1925-1939)، مجلد 01، نفس المرجع، ص 220.

ويعكف عليه فيعملن على إصلاحه ولا يصرفن أوقاتهن في الشوارع كما هي الحال الآن، وينشئن الأولاد تنشئةً صالحةً قويةً تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وبنات مهذبات يكن مثال للرفي الإسلامي الصحيح.

ويشرح صاحب الشهاب المعنى السامي والراقي للمرأة المسلمة الجزائرية من نواحيها الثلاث: فالمرأة خلقت لحفظ النسل وتربية الإنسان في اضعف اطواره فهي ربة البيت وراعيتها بمقتضى هذه الخلقة للقيام به فعلياً ان نعلمها كل ما تحتاج اليه للقيام بوظيفتها وتربيتها على الاخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف رجل ونصف امرأة فالتى تلد لنا رجلاً يطير خير من التي تطير بنفسها.

المسلمة فعلياً ان نعلمها ما تكون به مسلمة ونعرفها عن طريق الدين مالها وما عليها وتفقهها الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها فعلياً ان نعرفها حقائق ذلك لتلد أولاداً هنا ولنا يحفظون امانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ولا يذكرون اصلهم وان انكرهم العالم بأسره ولا يتتكرون لأمتهم ولو تتكر لهم الناس أجمعون ويرى بأن الطريق الموصل الى هذا هو التعليم تعليم البنات تعليماً يناسب خلقهن ودينهن وقوميتهن فالجاهلية التي تلد أبناء الامة يعرفونها مثل أمهاتنا عليهن الرحمة خير من علم ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة تكون بإذن الله قد نهضنا بها نهضة صحيحة نرجو من ورائها للخير وكمال، ويؤكد الشيخ ابن باديس القيمة الكبيرة والأهمية البالغة لدور المرأة داخل المنزل وذلك عند شرحه للحديث النبوي الشريف عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كامل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء لفضل

الثريد على سائر الطعام" رواه البخاري ومسلم، حيث يقول: هؤلاء السيدات الكاملات كلهن قد عملن في الدين فمنهن أم نبي ومنهن زوجة نبي ومنهن فعلىنا أن نكمل النساء تكميلا دينيا

يهيمن للنهوض بالقسم الداخلي من الحياة وإعداد العاملين ومساعدتهم للنهوض بالقسم الخارجي منها وبذلك تنظم الحياة انتظاما طبيعيا تبلغ به الإنسانية سعادتها وكمالها.<sup>1</sup> ويؤكد أيضا على أن المال الإنساني متوقف على قوة العلم وقوة الإرادة وقوة العمل، فهي أساس الخلق الكريم والسلوك الحميد للذي ينهض بهما بجلائل الاعمال ويبلغ بهما الى أسمى غايات الشرف والكمال والمرأة لما خلقت للقيام بقسم الحياة الخارجي أعدت من القوة والبشر والقدر الذي يدخل ليه صنعا وموصون ما يدخل ليه الرجل الذي خلق للقيام بقسم الحياة الخارجي فُننت بخصوصها فصّفت صنعته من العلم والإرادة والعمل فكانت لذلك دونه في الكمال فلو لم يعد الرجل ما أعدّه من كمال القوة لما استطاع القيام بالأعمال البسيطة في قسمه، ولو أُعطيت المرأة، مثل ما أُعطي لما صبرت على البقاء في قسمها فأخلته فأخلت النظام فحصل الفساد.<sup>2</sup> وسعيا من الشاعر محمد العيد آل خليفة لاستنهاض همم السّاد كتب قصيدة شعرية، مبينا للنساء فيها طرق الذهون والرّقي من خلال دعوتهن للسير نحو العليا ويحثّهن على العمل فيقول:

سرن سير الجزائر

<sup>1</sup> أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 3 الطبعة 8، دار الغرب الإسلامي بيروت سنة 1992 من 440 - 443.

<sup>2</sup> مراد قبّال: قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب 1925 - 1939، مجلة دراسات تاريخية العدد 8، مجلد 4 جامعة خميس مليانة، الجزائر ص 222.

خلف ركب العشائر

يا نساء الجزائر

سرن نحو الذي دعا

للعالى فأسمعا

يا نساء الجزائر

قمن من رقدة الكسل

وتحولن للعمل

يا نساء الجزائر

قمن لله بالقرب

وتحلين بالأدب

يا نساء الجزائر

على الرغم من الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت ساهم الاستعمار الاسلام وأدعيائه تريد النيل منها والتأثير على الشخصية العربية الاسلامية فقد بقيت معاهدة متحدية محافظة على حجابها متمسكة بأهدافه تمسكا شديدا وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم.<sup>1</sup> وكما راحت الحملات التغريبية المسعورة تعاجم قيم المجتمع

<sup>1</sup> مراد مبال: قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب، 1949 مجلة دراسات تاريخية العدد 8، مجلد 4 جامعة خميس مليانة الجزائر ص 249 .

الجزائري وتريد النيل من انتمائه الحضاري العربي الإسلامي ومن ثم اذابته في بوتقة المدنية الغربية ورأوا في المرأة الهدف الكبير لهم فاذا حققوه حققوا كل شيء بعده سعوا لجهل المرأة الجزائرية نسخة ثانية من المرأة الغربية حينئذ ذهب نفر من المفكرين التتويريين يذودون خطبهم واقلامهم عن حياض الامة ويدافعون عن قيم الاسرة الجزائرية ضد الذوبان والانحلال ويذهب الأستاذ علي مراد الى ان ثمة تاثيرات خارجية وافدة على الجزائر هي التي جلبت مسألة قضية المرأة وتحررها وذلك عبر ثلاث قنوات.1 - تأثير التركي: ان انتصار اللاتكية ومبدأ المساواة: بين الرجال والنساء في الجمهورية التركية الحديثة فقد أدهش الشبيبة الجزائرية المسلمة حيث بدا الوضع المدني الجديد المرأة التركية في نظر الفتان الجزائريين، بمثابة تحقيق الشلهم الشخصي.

2-التأثير المصري: فقد كانت المصرية قد ولدت مع بداية القرن العشرين هذا الدفع الذي قدسه قاسم أمين بفضل كتابية تحرير المرأة والمرأة الجديدة. حيث ظفرت الأفكار المدافعة عن تحرر المرأة بصيت واسع في الأوساط الأدبية كما ان الصحافة النسوية ازدهرت سريعا بفضل جهود المناضلات من أجل حقوق وحرية المرأة ذوات الأصل المسيحي أو الإسلامي مثل ملاك حنفي ناصف 1866-1918، وهدى شعراوي مؤسسة الاتحاد النسوي المصري سنة 1923.

3-الرأي العام الغربي حول الوضعية النسوية مقصده الدعاية كانت على عكس بلاد المشرق مصحوبة بتوصيل أعمال الرجال ولم تكن تشوف على ميدان حساس ونظرا لمروره إلى ما سبق وسبب في أعمال كان من شأنه أن يتصرف كخليفة أو جعل الأول مستند في اللباس النسوي الإسلامي! إضافة إلى أن أكثر الدعاة حماسا للتحرر النسوي في البلدان الخاربية لانوا معنا ومفرنسة نحو أرواح الدينية منشودة، ويعتبرون كل ما رسم الأخلاقية بوجه عام بارتباك

وخشية.<sup>1</sup>

وقد امتاز موقف الشهابيين إزاء قضايا تحرر المرأة الجزائرية وفق النظرة الغربية؛ بنوع من اللياقة والصرامة الدينية خاصة اتجاه دعاة التبرج أو الاستمرار في لبسة لجميع أولئك الذين لا بد في صدق ورغم بعدهم وسلوكهم الاجنبي و مستواهم الثقافي والاقتصادي لأن يحذوا ويتبعوا السلوك لأن الفرنسية بدوا وأولى تظهر المرأة المسلمة أمرا ضروريا لا يناقش ورغم قلة عدد من صحافة لا تملية إنما قضية الأخلاق الدينية إلى تحرير المرأة في دعمها تحويل المرأة الأصلية أسوة بالرجل لكنا نوقفون على صحافة تشبع لهم بشرا فلا رعم بين الحضور الاسلامي واللسان الإسلامي من كافة وجوه المصون الاحتشام وصوت المستعمرين ولا نؤول قوله تداخل ايدولوجية بحق المثقفين الفرنسيين النخبة الجزائرية بالحریات كالفرنسيين ما داموا يعتقدون بأنهم قد وصلوا إلى درجة كبيرة من التحضر ناسيين بانهم لم يحركوا ساكنا أي مسألة تحرير نسائهم وبناتهم اللواتي يعشن في عزلة وقصور تفكير ويعكس هذا عدم ارتياحهم لبقاء المرأة الجزائرية محافظة على قيمها وتقاليدها وكان الحجاب الذي كانت ترتديه هو المستهدف. ومثل هذه الدعوة إلى اقضاء الحجاب الذي يعد لباسا شرعيا للمرأة المسلمة في نظر الاسلام في نظر الأستاذ الزاهري ، دعوة آثمة ليس لها صناعها سوى هدم الأسرة المسلمة فقام يطيحون إلى سيادة المستور على الحجاب ويجنون المرأة الجزائرية على سلوك ذلك المسلك حتى تلون لما المرأة الفرنسية حرة وسفورا حيث يعتبرون تلك الحركة حركة الالحاد والتقليد وليست حركة تجريد لأن غايتها التفرنج والاندماج الغربي اندماجا تاما بكل معنى الكلمة ومن وراء هذا السعي أناس تعلم أكثرهم في مدارس أجنبية غير إسلامية أسست مثل هذه الغاية في الشرق.

<sup>1</sup>مراد قبيل، قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب 1925-1939، نفس المرجع، ص 223.

كانت نظرة العلماء حول موضوع تعليم المرأة كان مبني على الفلسفة القائلة أن البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال وتدين الام هو أساس حفظ الدين والخلق والضعف الذي نجده من ناحيتها في رجالنا معظمها تنشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تدينهن وبقول ابن باديس أيضا في مناسبة سابقة لماذا تعاقب المرأة بعلمها؟ هل العلم ورد صفاء للرجال ومنهل للنساء؟ هل له تأثيرات حسن على فكر الذكور وقبيح على فكر الاناث وعندما أسس ابن باديس جمعية التربية والتعليم نص قانونها الأساس على ان تعليم الاناث مجانا على الاقبال على الدراسة والمواظبة عليها وكان من حرص الشيخ بن باديس على تعليم الفتاة أنه كان يتصل شخصية بالمواطنين يحثهم على ارسال بناتهم الى مدرسة جمعية التربية والتعليم وكان يفعل ذلك أثناء جولاته في انحاء الجزائر ويطلب من زملائه العلماء الدعوة الى تعليم المرأة.

وتشير الوثائق الفرنسية الى موضوع تعليم المرأة بعد تأسيس جمعية العلماء حيث أوردت احداها إحصائية عن الطالبات في المدارس المختلفة في انحاء الجزائر كما بينت وجود دروس خصوصية في المساجد كتنت موجهة للنساء فقط وذكرت وثيقة أخرى أن برامج تعليم الفتاة كان مختلفا من تعليم الفتيان حيث احتوى برنامج تعليم الفتاة على المبادئ الأساسية للتعليم ومبادئ الاخلاق والتدبير المنزلي ورعاية الطفل وغير ذلك كما شاركت الفتيات في النشاط الفني.

وقد رأى ابن باديس ان تواصل بعض الفتيات تعليمهن بعد المرحلة الابتدائية فكتب الى رئيسة جمعية دوحه الادب بدمشق سنة 1208هـ 1929م بطلب قبول مجموعة من الطالبات الجزائريات في المدرسة الجمعية ولكن ظروف الحرب حالت دون إتمام ذلك.

جاءت اليكس الى الجزائر أو الاحتلال تاركة ابنتها عند والدتها في فرنسا وفي الجزائر تعلمت الخياطة واشتغلت غسالة في المستشفى العسكري وتوفي والدها سنة 1837 وهي في الجزائر ثم

بدأت تخطط لإنشاء مدرسة (ورشة) للبنات المسلمات يتعلمن فيها الحضارة واللغة الفرنسية وفي سنة 1843 عارض المفتي مصطفى اللبابي إدخال الفرنسية في المدارس القرآنية فنفته السلطات الفرنسية وبدأت فكرة التسرب الى الاسرة ولكن حالة المرأة المسلمة مضمية كما يقولون فهي لا تخرج ولا تتعلم ولا تختار الزوج وهي لا تتضح قبل الزواج انها انسانة محقورة هكذا تصورت السيدة اليكس (لوس) حالة المرأة فعزمت على انقاذها بدأت بتعلم العربية باعتبارها الوسيلة الضرورية للدخول الى قلب المرأة ومنذ 1815 بدأت في جمع التبرعات لمشروعها ثم بذلت المساعي لاقتناع الأمهات اللاتي اغرتهن بالسماح لبناتهن بالحضور الى مدرستها بضع ساعات في اليوم يتعلمن اللغة الفرنسية والحساب والخياطة فلم يأتي اليها سنة 1846 الا اربع بنات ولكنها لم تفشل لقد اختارت منزلا تعلم فيه ثم وصل العدد الى 30 ثم 40 فسألت الحكومة المساعدة وقد عرفنا ان إدارة بوجو أقرت المدرسة وساعدتها وكانت المدرسة تقع في شارع طولون وأهم ما كانت تعلم بعد اللغة الفرنسية هو الطرز لأن الأوروبيين كانوا يقبلون على الطروزات ولاسيما السواح الانجليز ويشمل الطرز على المناديل والستائر بالذهب والحريير بمختلف الألوان والأشكال كالملابس والصدريات وقد اتسعت المدرسة الورشة بمعروفاتها حتى خارج الجزائر إذ شاركت السيدة اليكس في المعرض الكبير ببريطانيا سنة 1862<sup>1</sup> من الواضح أن ما قامت به السيدة اليكس ليس تعليما بالمعنى المتعارف عليه، ولكنه نوع من التكوين المهني عن طريق اللغة الفرنسية.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص443.

ثانيا - الوضع الاقتصادي:<sup>1</sup>

منذ دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر أولى اهتماما كبيرا بالجانب الاقتصادي الذي أصبح يعرف عليه التردي جراء السياسة الفرنسية المنتهجة فيه حيث عملت على تطبيق نظام المصري يدعى "الثنائية الاقتصادية" بدمج العصري والتقليدي معا.

ومن ثم جرت في مصادرة الأراضي الخصبة من أصحابها وتقديمها للمعمرين وتسخير أهاليها لخدمة المشروع الاستيطاني مقابل أجور ضعيفة كما اثقلت كاهلهم بفرض الضرائب المتنوعة والجحفة وهو انعكس سلبا على الحياة الاقتصادية الجزائرية العامة والمرأة على وجه الخصوص وجعل من نشاطها في هذا المجال محدودا جدا فالمرأة الريفية تعودت أن تستخدم طوال النهار في التدبير المنزلية فانحصرت مهامها على الطحن والعجن والطبخ وما غير ذلك من ترتيب للمنزل حيث كانت تمارس الصناعة الحرفية البسيطة من نسيج وخطاطة ملابس وصنع قماش الخيام فالمرأة على هذا المنوال كانت توفر للرجل الغذاء والكساء والسكن وتعينه في عمله الفلاحي وحسب رأي بول بوليو في كتاب شارل ريبير آجبرون بعدم المبالغة في دور المرأة الاقتصادي مع اعترافه بمساهمتها في تسيير النظام المنزلي وإقراره بأن العمل المنزلي هو مجال الزوجة الكفأة.

أما بخصوص المرأة في المدن فقد استخدمت كيد عاملة بشكل بارز في مطلع القرن العشرين للميلاد حيث اشتغلت بروشات الخزف بأجور تتراوح بين 10 و 14 فرنك في الأسبوع مقابل عشر ساعات يوميا فكانت المادة الأولية لهذه الورشات تأتي من عمل نساء أخريات يتكفن بالنتقيب في المزابل كجمع الورق والخزف ثم يقمن ببيعها لهذه المؤسسات أو لوسطاء الأهالي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 2، ط01، دار البصائر، 2007، ص90

<sup>2</sup> شارل روبيراجيون، تاريخ الجزائر المعاصرة: ترجمة عيسى عصفور، ط1، عويدات، لبنان، 1982، ص123.

ومنهن من لم يعملن للدى الخواص او في التجارة ولكن كل الاحصائيات المسجلة لا تبرر أهمية للعمل النسوي ولا تنوع مجالات وظائفها غير انها برعت في الصناعة المحلية كالزراي والخزف التي قامت السلطات الفرنسية بمنافستها من خلال فتح ورشات خاصة او حكومية بالمدن الكبرى مثل وهران، الجزائر، قسنطينة، واهم المدن التابعة لها سواء تلك الورشات الخاصة او المكتسبة او التابعة للحكومة ومن الصنف الأخير سبعة مراكز في إقليم قسنطينة بين 1895 و 1910 وكانت تضم حوالي 5398 تلميذة وسبعة مراكز في إقليم وهران ما بين 1906-1910 وكانت تضم حوالي 674 تلميذة أو في إقليم العاصمة بين 1903-1909 حيث ستة مراكز وكانت حوالي 526 تلميذة وقد اختصت هذه المراكز ( وكانت تضم حوالي) بأنواع معينة من الزراي الإيرانية والتركية والمغربية والتونسية بالاضافة الى الأنواع المحلية مثل زراي جبل عمورة والقلعة والطرز العربي والبربري الخ وكان الهدف من هذه الورشات ليس تثقيف البنت المسلمة واخراجها من ظلمات الجهل كما يزعمون ولكن جعلها وسيلة الإنتاج تجارية لتبادل المنسوجات والمطروزات التقليدية مع أوروبا وعرضها في المعارض على انها انتاجات "فرنسية" ومن جهة أخرى كان الهدف هو دمج المرأة الجزائرية في الحياة الأوروبية وخاصة الاقتصادية واخراجها من بيتها بشتى الوسائل كما أن التجربة كانت تتماشى مع رغبة شارل جونار في استعادة وجه الجزائر العربي الإسلامي أو البربري التقليدي فيحصل التناقض بين المجتمع المتخلف والمجتمع المتحضر وتكثر العقد ومركبات النقص ويذهب من درس هذه الظاهرة عندئذ الى ان البنات سرعان ما كن ينسين ما تعلمنه لأنه لا توجد إمكانات المواصلة ثم ان المستفيدات لا يتجاوز عددهن 1739 تلميذة من بي حوالي 500 الف تلميذة في سن التعليم<sup>1</sup> ان أصوات البالين على المرأة كثيرة ولكن ما صنع الفرنسيون طيلة أكثر من قرن نحو المرأة البائسة في نظرهم.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص347-

## ثالثا: الوضع السياسي والثقافي:

## أ/الوضع السياسي:

ان الغزو الفرنسي للجزائر كان وحشيا جدا حيث تفننت فرنسا الاستعمارية في طرق التقتيل وعمليات السلب والنهب والمرأة الجزائرية لم تكن بمعزل عن هذا الواقع التخريبي حيث تعرضت للاغتصاب الجماعي والاختطاف والبيع وثم ارغامها على اعمال الدعارة<sup>1</sup> وهذا بالرغم من معاهدة " اتفاق الجزائر " التي ابرمت بين الجزائر وفرنسا اثر الاحتلال وما تنص عليه مادتها الخامسة من احترام كامل للمرأة الجزائرية الا ان المستعمر داس على كل العقود والقيم ومارس على هذا الشعب مختلف الأساليب الدالة على وحشية وهمجيته.<sup>2</sup>

فبعد دخول الفرنسيين الى الجزائر واثر المعارك الأولى هربت العديد من الاسر الجزائرية وتركت المدينة اذ اشعرت بعدم الاطمئنان وقد عانت النساء الجزائريات في هذا الجو المليئ بالبارود ورائحة الموت وتبدو هذه المعاناة في التشرذم القصري فلا عائلة ولا إقامة<sup>3</sup> ويذكر حمدان بن عثمان خوجة ان الحاج أحمد باي القسنطيني أثناء عودته الى مقاطعته وبعدها تم التوقيع على معاهدة الاستسلام " قد جمع حوله ثلاثة الاف نزلي وعدد كبير من اسر مدينة الجزائر التي نزلت المدينة لقد أخذ باي قسنطينة كل هذا العدد الكبير من الناس تحت حمايته وكان يوجد ضمن هذا العدد حوالي 500 امرأة"، ويصور لنا مصدر آخر قرار المرأة من مقر

348

<sup>1</sup> Njima Kitauni Djhmani: Femmesdjnsjlourmente colonijle. Confluences. Meditterjeen 19.1996.puo.

<sup>2</sup> يمينة بشي، مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، دار الحكمة، الجزائر، ع3، 2000، ص211.

<sup>3</sup> مسعودني كواتي، المرأة الجزائرية والاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، كفاح المرأة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، ط2، 2007، ص ص 48-49.

استقرارها خلال الأيام الأولى من الاحتلال وقد شرح الكولونيل سكروت الذي عاش في زمالة الأمير عبد القادر أوضاع أسرة عانت من غزو الفرنسيين في قوله: " ولما وصلنا الى اسرة الأغا وجدنا منظرا مؤثرا للغاية زوجات الأغا الأربع وقد ركن في هودج محملة على ظهور الجمال صممت لحماية هاته الشباب من حرارة والشمس .... وكان في السيرة عدد من الأطفال شبه عراة وامهاتهم ملفوفة في الحايك الذي كان لابد أن يكون أبيضاً في يوم من الأيام ولكنه أصبح بني اللون من الوساخة وكثرة الاستعمال وكثير من اللاتي ينتمين الى الطبقة السفلى لا يغطين وجوههن التي هي الأخرى تحتاج الى الغسل، ويعضن موشومات وكان البعض منهن يصرخن ويعولن بينما البعض الآخر منهنمكات بجر بقراتهن أو جمالهن أو يصرخن لأنهن فقدن متاعاً من الامتعة المنزلية أو قطعة من الاناث وكانت قطعان الغنم لا تتحرك الا ببطئ في وقت الاستعجال الذي لم تتعود عليه".<sup>1</sup>

ومن مأساة المرأة الجزائرية كذلك قصة تلك المرأة البسيطة التي يعمل زوجها بذكر حمدان بن عثمان خوجة: " لقد اضطر المسمى محمد محمد بن سقطة الى السجن الى البلدة ليعيش فيها وكانت مهنته كإسكافي لا تكفي لتوفير وسائل عيشه وعيش إمرأته وبناته الصغيرات الأربع وقد كان يسكن في دار صغيرة فدخل اليها في أثناء الهجوم واغلق الباب إنه لم يكن يملك أي نوع من أنواع السلاح، ولم يكن مه سوى الأدوات التي يشتغل بها، وعندما دق الجنود الباب خرج إليهم صحبة زوجته فكسرت ذراعها وأصبح عليها أن تعول بناتها فتوجهت إلى القائد الأعلى، ولكن شفقتة لم تزد على أنه أركبها بغلة دون أن يضمد جرحها الذي ظل يدمي طيلة الطريق".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر ش و ت ت، الجزائر، 1974، ص172.

<sup>2</sup> فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبوبكر رحال، الجزائر، 2005، ص74.

نتيجة للظروف القاسمة ومعاملة الجيوش الفرنسية هاجرت العديد من العائلات إلى الخارج الوطن خاصة إلى بلدان إسلامية بالإضافة إلى عمليات التهجير اعتمدت فرنسا بحق الجزائريين مما أدى بكثير من النساء إلى العيش بعيدا عن أزواجهن متحملات تربية الأولاد بمفردهن هؤلاء الأبناء الذين هم في حاجة إلى عطف الوالد ودفئه".<sup>1</sup>

### ب/الوضع الثقافي:

مما لا شك فيه أن الوضعية الثقافية للمرأة الجزائرية كانت اثر تدهورا وسوءا من وضعيتها الاجتماعية والسياسية بين 1830-1925.

وتدهور الوضعية الثقافية للمرأة الجزائرية كان نتيجة لعوامل شتى منها سياسة تجهيل الجزائريين التي فرضها المستعمر على الرجل والمرأة إضافة إلى وضع الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر بسبب الموقف العدائي للمستعمر إزاءها فقد سعى هذا الأخير منذ بداية الاحتلال إلى طمس وتدمير كل معالم ومقومات لشخصية الجزائرية<sup>2</sup> ولهذا لا نستغرب وصف أحد المؤرخين الحياة الأدبية في الجزائر خلال الربع الأخير الأخير من القرن التاسع عشر، وقد نجم عن هذا الوضع الثقافي في انتشار الجهل والامية في الأوساط العامة التي مست كل من الرجل والمرأة على حد سواء لقد كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية ترمي إلى تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الإسلامية العربية وإلى تحويل الشعب الجزائري كله وادمجه في الحضارة الأوروبية والثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية وفي سبيل ذلك قام الاستعمار بتحطيم الكتابات القرآنية وقد اتبعوا الفرنسيون سياسة التجهيل نحو الجزائريين فلا ننتظر منهم أن يخلصوا البنات بالتعليم دون البنين ومع ذلك نلاحظ أنه عند البدء في نشر التعليم الفرنسي كان

<sup>1</sup> مسعود كواتي، مرجع سابق، ص 53.

<sup>2</sup> يمينية بشي، مرجع سابق، ص 19.

التركيز على البنين دون البنات وسنذكر الاحصائيات التي تدعم ذلك وجدير بالذكر أن حفظ الجزائريين من التعليم الفرنسي في البداية كان خوفاً على صعيد أبنائهم جميعاً، ولا سيما البنات ولعل هذا الموقف كان من بين الأسباب<sup>1</sup> كما سيطرت العادات والتقاليد البالية على عقلية العامة سبباً الى جانب السياسة الفرنسية في تراجع تعليم البنات وسيطرة الجهل وتدهور المستوى الثقافي للمرأة الجزائرية فتعليم هذه الأخيرة صار مع مرور الزمن فكرة ممنوعة اجتماعياً محرمة دينياً من طرف بعض رجال الطريقة إذ يرون أن تعليم الفتاة يؤدي بها الى الانحراف والفتنة.

كانت المرأة المسلمة في الجزائر الى عهد قريب لا يجاوز أربعين سنة محرومة من كل ما يشتهي تعليماً إلا شيئاً من القرآن يؤدي الى معرفة القراءة والكتابة البسيطة وهذا النوع على تفاهته خاص بيوت العلم، هذه هي الحالة السائدة في الجزائر منذ قرون وتشاركها فيها جميع الأقطار الإسلامية على تفاوت بسيط منها والسبب في هذه الحالة نزعة قديمة خاطئة راجت بين المسلمين وهي أن تعليم البنات مفسدة لها، هذه هي علة العزل في الحالة التي أفضت بالمرأة المسلمة إلى هذه الدرجة التي مازالت سارية في المجتمع الإسلامي ومازالت لطخة عارفيه وأن المرأة لذ تعطلت الرجل وإذا تأخرت آخرته ولا سبب الانحطاط المرأة عندنا الا هذا الضلال الذي شوه الدين وقضى المرأة بالخمول فقضت على الرجل بالفشل استطاعت المرأة الجزائرية المحافظة على هويتها البقاء متميزة بعاداتها وتقاليدها وشخصيتها المختلفة عن شخصية المرأة الأوروبية رغم ما شاب ذلك من ممارسات تنافي مع الشرع الإسلامي لقد كانت كانت المرأة حاضرة في المدن والريف ولم تكن تنتظر النجدة من الاخوات البيض حاملات الصليب ولا أفكار "سان سيمون" لتحريرها وانفاذها لقد نفتها فرنسا وحدها أوضح الرجال الى "كايان" وكاليدونيا وعانت من المحتشدات التي أقامها "بوجو" و "سانطارنو".

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله ، ج6، المرجع السابق، ص348.

كانت الحكومة الفرنسية أن تولى اهتماما بالفتاة الجزائرية من خلال إنشاء مدارس تشتمل على نوع واحد من البرامج رغم اختلاف تسمياتها مدارس البنات الأهلي مدارس تعليم الحرف مدارس البنات.

والشئ الملاحظ انطلاقا من هذه التسميات ان هذا التعليم كان في اغلبه تعليم صناعي لا تلقن فيه اللغة العربية ولا العلوم الدينية إنما اقتصر على الدروس البسيطة لإكتساب خبرة في الصناعة المحلية من تدابير منزلية وأشغال يدوية كالتطريز وصناعة الزرابي والخياطة.

إن هذا النوع من التعليم لاقى استنكارا شديدا من قبل الأهالي الجزائريين فقد ظلموا معارضيين لإرسال بناتهم لتلك المدارس على عكس الذكور فقد ذكر المؤرخ شارل ريبير أجيرون: " من البديهي أن التعليم الذي يقدم الجنس الذكور وحدهم معرض لأن يصاب بالعمم التام فكيف يمكن الحديث عن إمكانية التحسين إذا خرج التلميذ من المدرسة ليغطس في وسط عائلي صنعتة أهله وإذا إضطر أحد للزواج بإمرأة تضيف الخرافة إلى الجهل إن رفض المجتمع السلم الأهلي تعليم بناته.

أما بالنسبة للتعليم العربي الإسلامي فاقتصرت هذه المهمة على الكتاتيب والزوايا والمدارس الحرة التي حاولت المحافظة على مستوى من اللغة العربية والثقافة الإسلامية وحمايتها من الضياع، ما جعل السلطات الفرنسية تتخوف من انتشارها.

عملت الصحافة الجزائرية على الاهتمام بقضايا المرأة الجزائرية وخصت لها حيزا من موضوعاتها وهو وضعه الجدول التالي:

المقالات من السلسلة الأولى بجريدة البصائر (1935-1939):

الكاتب	عنوان المقال	العدد	السنة	التاريخ	الصفحة
حمزة بوكوشة	قيمة المرأة في المجتمع	8	1	1936/02/11	66

25	1937/02/05	2	53	حجاب المرأة لا عادة لا دين	مصطفى حلوش
56	1937/03/12	2	57	حجاب المرأة دين والمبالغة فيه	حمزة بوكوشة
73	1937/03/19	2	59	حول حجاب المرأة	أبو يعلى الزواوي
89	1938/04/15	3	100	تعدد الزوجات	محمد مراده الميلي
120	1938/04/15	3	104	الحجاب والسفور	عيسى أبو خالد
154	1938/04/15	3	108	حول تعدد الزوجات	محمد العربي الحولاني
117	1938/04/29	3	11	اهمال البنات	عبدالقادر بن سي احمد
230	1938/06/10	3	117	حول قضية الحجاب والسفور	الصادق النبهي
299	1938/08/12	3	126	حديث الحجاب والسفور	احمد زروق الحنيفي
386	1938/10/28	3	137	تعدد الزوجات في الإسلام	أبو يعلى الزواوي
400	1938/11/11	3	139	المرأة الجزائرية الحديثة والكتابة في الصحف	زهور ونيس
20	1938/12/02	4	142	حول تعدد الزوجات في الإسلام	احمد بوزيد
180	1939/04/21	4	162	ما مستقبل البنت الجزائرية	الأخضر همام اليحيائي
215	1939/05/26	4	167	جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة	محمد الصالح رمضان
213	1939/05/26	4	167	المرأة بالجزائر 1	محمد بن الهادي
2018	1939/05/26	4	167	كيف السبيل الى الزواج؟	محمد الطاهر الورتلاني
240	1939/06/16	4	170	المرأة بالجزائر 02	محمد بن الهادي عادل

#### رابعا: السياسة الفرنسية اتجاه المرأة الجزائرية:

سعى الاحتلال الفرنسي على توسيع درجة الانغلاق الاجتماعي بالنسبة للمرأة الجزائرية المسلمة عن طريق الحرمان والجهل والفقر وظروف شاقة ومزرية وسدت امامها كل السبل وفرضت

عليها عادات واعراف بعيدة كل البعد عن الدين والرقي والحضارة وجعل هي سيدة البيت بمثابة السجن لها لا تغادره من يوم ان تزف إليه ان تحمل على النعش إلى القبر.<sup>1</sup>

حيص فرض عليها حصارا اجتماعيا كخنق واعتبر ذكر اسمها في أي محفل بمثابة قلة أدب كما جعلها تجهل بالتقاليد الاجتماعية والتعاليم الإسلامية قد أدى الى تفسيرات عديدة لوقوعها منهم من تأسف على حالها ومنهم من وصف شقائها ومعظم الكتابات ترجح مآل اليه أمر الامراة الى تعاليم الإسلام للطعن فيها والمرأة في نظرهم قدرية غارقة في الخرافات ومستسلمة راضية بحكم القضاء عليها وهي ضحية التخلف والامية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، ج6، مرجع سابق، ص337.

<sup>2</sup> يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص24.

## الفصل الثاني

الصحافة الإصلاحية كأداة لتغيير المجتمع

أولاً: الصحافة الإصلاحية الجزائرية و دورها في نشر الوعي

أ- دور النخبة الإصلاحية في تناول قضية المرأة

ظهرت في الثلاثينات من القرن 20م تيار حركة إصلاحية في الجزائر عرفت بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 05 ماي 1931 بقيادة نخبة مستتيرة من العلماء الجزائريين يتزعمهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي مهد لها بجهوده الفردية وإلى جانبه خاض معاركها ثلة من رفاقه العلماء الجزائريين أصحاب النزعة الإصلاحية والفكر النهضوي في البلاد وهي تعد أول تيار علمية منظمة في الجزائر.<sup>1</sup> وقد أخذت على عاتقها مهمة محاربة المشاريع الفرنسية لاسيما قضية التعليم الذي جعلته من أولوياتها الأولى من أجل محاربة مشروع فرنسا التغريبي والوقوف ضد سياسته الماسخة والفاسخة الأصالة الجزائريين من لغة وثقافة ودين فقد كانت لهم مواقف شجاعة إزاء قضية المرأة التي كانت من أولياتهم آن ذاك، بل شغلت بال الكثير من رجال الفكر والإصلاح في الجزائر حيث تفتن روادها لتهميشها وإقصائها فتحركت أقلام علمائها وأدبائها بالدراسة والتحليل<sup>2</sup> فخصصت لمسألتها العديد من الدوريات والجرائد أعمدة خاصة جعلت منها منبرا حرا للأقلام التي أسالت الكثير من الحبر معتبرين بأن العناية بالمرأة أضحي أكثر من ضرورة اجتماعية فبذلوا جهودا جبارة في النضال من أجل تعليم المرأة الجزائرية تعليما عربيا إسلاميا وإخراجها من براثن الجهل والامية التي كانت تتخبط فيها.

<sup>1</sup> جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 76.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج6، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص

**1 - المرأة الجزائرية في فكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس:**

يعد الشيخ عبد الحميد ابن باديس من الرواد الأوائل الذين كرسوا جهودهم وطاقاتهم خدمة لمسائل عديدة تعود بالفائدة على الأمة، حيث شرع في عمله الإصلاحي التعليمي للنهوض بالمجتمع الجزائري فأحدث بذلك ثورة تعليمية عن طريق دروسه القيمة والتربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه،<sup>1</sup> ولعل قضية المرأة وتعليمها من القضايا التي كانت عالقة إلى أن ظهرت بوادر الحركة الإصلاحية في الجزائر فشغلت بال الشيخ الذي نصح بوجوب تعليمها وترقيتها لإنقاذها من الجهالة العمياء، ليكون بذلك قد دعا دعوة صريحة إلى ضرورة تعليم البنات وتوفير المكان المناسب لهن دون الاختلاط بالذكور معطيا بذلك نفسا جديدا للتعليم في الجزائر.

لقد كان الشيخ يدعو دائما إلى ضرورة تحرير المرأة الجزائرية من الجهل وإصلاح حالها وفي هذا الصدد يقول: "إذا أردتم إصلاحها فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها فإن حجاب الجهل هو الذي أضرها، أما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها." وقد قدم الشيخ أمثلة عن بلوغ بنات بغداد وقرطبة وبجاية مكانة عالية في العلم وهن متحجبات.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جمعية العلماء المسلمين المصدر السابق، ص 37.

<sup>2</sup> عبد الحميد ابن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير، الشهاب، مج5، ج10، نوفمبر 1929، ص09

كان الشيخ يصر على أن يكون تعليم المرأة بلغة قومها ودينها ويناسب خلقها بحيث يكون تعليمها تعليماً نافعا يناسبها. فهو يفضل امرأة جاهلة أنجبت للأمة أبناء يعرفونها أفضل من متعلمه تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها.<sup>1</sup>

كما عرف ابن باديس بمقولته الشهيرة حول المرأة بقوله: "نحن في أمس الحاجة إلى المرأة التي تعلم لنا الجيل كي يطير قبل أن تطير بنفسها وقد حمل العلماء والأولياء مسؤولية جهل المرأة وأوجب على العلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يعلموا الأمة ورجالها ونسائها ففي رأيه بأن من فرط في هذا الواجب فهو أثم لا محالة إنما كبيرا فيما كن فيه."<sup>2</sup>

لقد اهتم الشيخ ابن باديس كغيره من رجال الإصلاح بالمرأة الجزائرية وكان يرى فيها العنصر المساعد لإنجاح مشروعه المبني على الشمولية باعتبارها الركيزة الأساسية في تربية الناشئة فيرى بانه لايجوز إهمالها بل يجب تأهيلها وتنمية قدراتها العقلية والاجتماعية والخلفية ويجب تربيتها وفق سياسة تعتمد على الذات حتى يمكنها أن تكيف نفسها مع الظرفية الاستعمارية وقتئذ، ففي نظره أن المرأة لم تخلق لتستعبد فيجب عليها أن تجاهد لنيل حريتها.<sup>3</sup>

لقد سعت جمعية العلماء المسلمين إلى نشر التعليم العربي الحر على أوسع نطاق ودعمته بالعمل الدعوي ونشر حلقات التدريس والوعظ في المساجد والمدارس والمعاهد... مواجهة بذلك الإدارة الفرنسية ومشروعها الثقافي الاستعماري وخير دليل

<sup>1</sup> جمال يحيوي، كفاح المرأة الجزائرية دراسات وبحوث حول كفاح المرأة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 1998، ص 76.

<sup>2</sup> عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، مج 1، ج 2، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص 200.

<sup>3</sup> عبد الحميد ابن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشهاب مج 8، ج 11، 1932، ص 643.

على ذلك تأسيس مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة عام 1936 ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة ومدرسة تهذيب البنين بتبسة،<sup>1</sup> وغيرها من المدارس التي كانت تدعوا للحفاظ على الشخصية وعلى العروبة والإسلام في الجزائر هذا بالإضافة إلى مدرسة التربية والتعليم الإسلامية التي تقوم على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية صحيحة، وكان التعليم فيها يشمل الإناث والذكور. بعد ما كان مقتصرًا على الذكور فقط في الماضي وقد جعل الشيخ ابن باديس تعليم البنات في هذه المدرسة تعليمًا مجانيًا سواء كانت قادرة على دفع مصاريف التعلم أم عاجزة وهذا تشجيعًا لها للاستزادة بما يناسبها من علوم ومعارف يمكن توظيفها في تربية أولادها تربية إسلامية صحيحة وسليمة باعتبارهم هم بناء المستقبل.

## 2- المرأة الجزائرية في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

يعد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رائد من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، وواحد من الذين لعبوا دورًا رياديًا في توعية الشعب الجزائري داعيًا إلى النهوض بالثقافة العربية الإسلامية وإصلاح المجتمع بما فهم قضية المرأة، كما يعد من المدافعين عن الإسلام والعروبة مناهضته للفكر الاستعماري.

لقد أولى الشيخ اهتمامًا كبيرًا بعدة قضايا اجتماعية وثقافية خاصة ما تعلق بقضية تعليم المرأة الجزائرية حيث يرى بأنها كانت إلى عهد قريب لا يجاوز أربعين سنة محرومة من التعليم إلا شيئًا من القرآن الكريم الذي يؤدي إلى معرفة القراءة والكتابة البسيطة فهذا النوع على قلته فهو خاص ببعض بيوت العلم<sup>2</sup> ويرجع السبب في ذلك

<sup>1</sup> محمد علي دبور نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 2007، ص 92.

<sup>2</sup> محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص263.

إلى نزعة قديمة خاطئة راجت بين المسلمين وهي أن تعليم البنت مفسدة لها، ويستند أصحاب هذه النزعة على حجج مخالفة لمقاصد الشريعة العامة وتربية محمد صلى الله عليه وسلم لنسائه ونساء المسلمين العالمات.

يرى الإبراهيمي بأن المرأة هي رفيقة الرجل وسنده القوي فإذا تعطلت عطلت الرجل وإذا تأخرت أخرته ولا سبب لانحطاط المرأة الجزائرية إلا هذا الظلال الذي شوه الدين وقضى على المرأة بالخمول فقضت على الرجل بالفشل وكانت نكبة على المسلمين وما المرأة المسلمة الجزائرية إلا جزءا من المجموعة الإسلامية.

كان الشيخ متخوفا من تأثير المرأة بالتيار الغربي فانتقد تعليم المرأة المسلمة الجزائرية باللغة الفرنسية كونها ليست من روحها ولا من تقاليدنا فهي مخالفة لبيئتها. فيرى بأن اللغة الأجنبية إذ حسنت فإنما تحسن بعد اللغة المتصلة بالروح والتاريخ والمقومات الأصلية فهي بالنسبة للجزائرية ربح أما رأس المال فهو اللغة العربية ويشير الشيخ بأن الحضارة بدأت في المدن الحديثة ونعني بذلك المدن التي عمرت في عهد الاستعمار الفرنسي مثل سكيكدة سطيف وسيدي بلعباس، وهي مدن حديثة الحضارة ليست فيها بيوتات عريقة تمثل حضارتنا الإسلامية وتحفظ تاريخها العلمي، وقد سرى التعليم الفرنسي بعد سنوات قليلة إلى المدن التاريخية ذات التقاليد الموروثة والماضي العلمي العتيق كتلمسان وبجاية وقسنطينة والجزائر.<sup>1</sup>

لقد تأسف الشيخ الإبراهيمي لانسياق أولياء الفتيات المسلمات إلى التعليم الأجنبي انسياقا غريبا بعد أن كانوا معرضين عنه بضع سنوات حتى أنك لتجد للواحد منهم بنتا كبيرة حرمها من هذا التعليم وفوته عليها ثم سمح به طائعا مختارا لأختها

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ونقول ص ص 263-264.

الصغيرة أو لأخواتها الصغيرات ويرجع الشيخ سبب هذا الإقبال على تعليم البنات باللغة الفرنسية هو تعليم مخالف لبيئتها وتقاليدها وهو من تقليد المنافسة، فلا وجود وقت ذاك لتعليم رسمي ولا حر باللغة العربية بسبب هذا التعليم.<sup>1</sup>

يرى الشيخ بأن هذا التعليم قد أفرز نتائج وخيمة على الأمة التي نصف سكانها نساء فمعظم المتبعات لهذا التعليم يقفن عند حد الشهادة الابتدائية ثم يلزمن بيوتهن وفي الغالب يقبلن على الحرف النسوية اليدوية وقليلات منهن ينتقلن إلى التعليم الثانوي وأقل من القليل يجاوزنه إلى العالي، وقد استدلت الشيخ ببعض الأسماء الجواريات القلائل اللواتي استطعن الحصول على شهادات عالية. وعن ذكاء البنات الجزائرية فقد ذكر الشيخ بأنها تتمتع بذكاء خارق بشهادة الرجال القائمين على التعليم الفرنسي غير أن السبب في تأخرها فيعود إلى عوامل اجتماعية ودينية مازال لها شأن في المجتمع الجزائري.<sup>2</sup>

يرى الشيخ الإبراهيمي بأن التعليم الفرنسي الموجه للمرأة الجزائرية يسمى بالفجر الكاذب الذي كانت نتائجه قليلة ووخيمة عليها وعلى المجتمع الجزائري فهو متيقنا بأن هذا التعليم سيأتي نتائج كاملة بعد مجيء الفجر الصادق لتعليم الفتاة الجزائرية والذي ظهر عام 1931 مع ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست من أجل إحياء العروبة والإسلام بالقطر الجزائري ومغالبة الاستعمار عليهما. وقد كان من أولوياتها هو تحبيب العلم إلى الجماهير بواسطة الدروس الدينية والمحاضرات الاجتماعية وكان هدفها تعليم الناشئة وإحياء الدين في نفوسها والعربية في ألسنتها ومحاربة الاستعمار ولتحقيق ذلك فقد صمد رجالها قهروه ولهم اليوم نحو

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص 265.

<sup>2</sup> محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص 265.

مئة وخمسون مدرسة عربية حرة تحتوي على نحو خمسين ألف تلميذ من بنين وبنات ورأينا آثار الحزم والجرأة والإخلاص فيهم.<sup>1</sup>

لقد اهتم الشيخ البشير الإبراهيمي بقضية تعليم المرأة الجزائرية وشجعها على ذلك في أكثر من منبر داعيا المجتمع الجزائري إلى المساهمة في تعليمها وفتح أبواب العلم الموصدة في وجهها لأسباب عدة خاصة العرف الاجتماعي والسياسة الفرنسية التعليمية.

كما تناول هذه القضية في أرجوزة جاءت تحت عنوان تعليم البنات وفيها نجده يخاطب المجتمع نائرا يستنهض الهمم من أجل تشجيع المرأة على التعليم باعتبارها عماد المجتمع ورفيقة الرجل في بناءه وتطوره بتعليمها أما بقائها على جهلها فسيساهم لا محالة في تخلف المجتمع ويعرضه للضرر والخطر خاصة وأنه يعتبر بأن التعليم أحد أهم دعائم قيام أي نهضة وله فضائل عدة على المرأة التي تساهم في بناء أسرة قوية ومجتمع متماسك. وفي هذا الصدد يقول الشيخ:

تزرع في النشء أفانين الخور .. ترضعه أخلاقها مع الدرر

وإنها إن أهملت كان الخطر .. كان البلا وكان الفنا كان الضرر

وإنها إن علمت كانت وزر .. أولا فوزر جالب سوء الأثر<sup>2</sup>

كما ذكر الشيخ بأن تعليم المرأة لم يمنعه الشرع ولم يرد يرد ذلك لا في آية قرآنية ولا في أي اجتهاد وفي هذا الصدد يقول أيضا:

ومنعها من الكتاب والنظر .. لم تأت فيه أية ولا خبر

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص 266.

<sup>2</sup> محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج4، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص133.

ثم يقول عن أضرار جهلها ما يلي:

وأنظر هداك الله ماذا ينتظر .. من أمة قد شل نصفها الحذر  
وأنظر فقد يهديك للخير النظر ... وخذ من الدهر تجاريب العبر  
هل أمة من الجماهير الكبر .. فيما مضى من القرون وحضر  
خطت من المجد ومن حسن السير .. تاريخها إلا بأنثى وذكر ؟  
ومن يقل في علمها غني وشر .. فقل له هي مع الجهل أشر<sup>1</sup>

### 3- المرأة في فكر الشيخ أبو اليقظان:<sup>2</sup>

لقد كان لعلماء وادي ميزاب موقفا صريحا تجاه قضية المرأة ، ولعل من الشخصيات البارزة الميزابية والتي اهتمت بهذه المسألة نجد الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى هذا الأخير الذي تحدث عن مكانتها الاجتماعية والدينية باعتبارها أحد اللبنة الأساسية في الأسرة والمجتمع، فدورها عظيم في غرس القيم والأخلاق الدينية والمجتمعية في الأبناء لذلك نجده يصر على ضرورة تعليم المرأة و تربيتها تربية دينية صالحة، وقد كتب العديد من المقالات القيمة التي حاول فيها ترقية ورفع مستوى المرأة في المجتمع ، كما بين الدور النبيل الذي تقوم به في سبيل بناء أسرة عربية متدينة وأخلاقية ، كما دعا إلى صد المغرضين عنها وإعدادها إعدادا صالحا

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج4، ص 133. (يتمج في تهميش واحد)

<sup>2</sup> الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى من علماء الجزائر الأجلاء ولد عام 1888 في القرارة إحدى بلدات ميزاب تتلمذ في مسقط رأسه، ثم واصل تعلمه في معهد القطب الشيخ أطفيش، بعدها انتقل إلى جامع الزيتونة وفيها زاول دراسته كما نهل من الدروس المسائية بالخلدونية، ترأس البعثة العلمية الأولى والثانية الميزابية إلى تونس (1914-1925)، أصدر ثمانية جرائد وطنية باللغة العربية كان عضوا بارزا في جمعية العلماء المسلمين نائب أمين مالها بعد أن خلف إبراهيم بيوض في إدارتها، له تراث فكري ضخم، قارب الستون مؤلفا بين شعرا ونثرا منهم ما طبع ومنهم ما يزال مخطوط، توفي سنة 1973. (نقلا عن بن رحال يمينة، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره 1306 هـ - 1888 م - 1393 هـ - 1973 م ، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، 2005، ص 34).

كأي فرد من المجتمع وضرورة تمسكها بأركان الإسلام منها مقال المرأة العربية في التاريخ<sup>1</sup> " و " المرأة الجزائرية والحجاب" وفيه يؤكد على أن تكون المرأة عاكفة بمنزلها تدير شؤونها وتعتني بأمر زوجها وتتقن تهذيب أبنائها وهم رجال العصر<sup>2</sup> وهنا يتبين لنا رأي الشيخ في أن المنزل هو أفضل مكان للمرأة ورسالتها التي شرفها بها الإسلام تكمن فيه.

وفي إبراز دور المرأة يقول الشيخ عبد الرحمان بكلي: "والأم معمل إلهي لإنتاج الجنس البشري والمحافظة على نوعه وفي أحضانها ينشأ الجيل فوظيفتها أخطر وأغنى إنتاجا يقوم به مخلوق في الأمة".<sup>3</sup>

وانطلاقاً من هذه المقولة نجد الشيخ يشيد بالدور الفعال الذي خلقت من أجله المرأة في المجتمع، فهي تسهر على تربية الأجيال الناشئة وتؤهّلها للمستقبل من أجل الحفاظ على مقوماته وبالتالي فوظيفتها عظيمة.

كما أن الشيخ عبد الرحمان بكلي قد حرص على موضوع تعليم البنت، حيث شدد على ضرورة الاهتمام بها تعليماً وتهذيباً وإعداداً تربوياً لها ... حتى تعرف كيف تتصرف مع ولدها عندما يحسن وحين يخطئ، وتعلم ماذا تلقنه من المبادئ وتعلمه من الأخلاق كما يقول:<sup>4</sup> "إن بنت اليوم هي أم المستقبل، والأم هي المدرسة الأولى فإذا كانت جاهلة نشأ الجيل فاسداً، وما تأخرت أمتنا تأخرها اليوم في المضمار إلا

<sup>1</sup>ركة محمد، كريمي خديجة، قضايا التعليم في الجزائر من خلال صحف الشيخ أبي اليقظان (1926-1938)، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 25، العدد 02، ديسمبر 2024، ص 12.

<sup>2</sup>فردان الميلود، فتح محمود، الشيخ إبراهيم أبو اليقظان رائد الحركة الإصلاحية بوادي مزاب، مجلة جسور المعرفة، المجلد 07، العدد 03، سبتمبر 2021، ص 279.

<sup>3</sup>عبد الرحمان بكلي فتاوي البكري ج 1 المطبعة العربية، غرداية، ص 259.

<sup>4</sup>محمد بن قاسم ناصر بوحجام، حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمان بكلي، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 2011، ص 88.

بجهل الأمهات ووقوفهن حجر عثرة في سبيل الحياة وبالعكس إذا تثقفت الأم أصبحت الموجهة لابنها منذ نعومة أظافره والمعينة له على قطع مراحل العلم، اتضحت أمامنا سبل السيادة وانفتحت في وجوهنا أبواب السعادة".<sup>1</sup>

لقد اتخذ الشيخ موقفاً حازماً تجاه الحملات التي قادتها بعض الأقسام الفرنسية الغربية، إضافة إلى بعض الكتابات العربية التي دعت إلى السفور ونزع الحجاب.

ويظهر ذلك بوضوح في موقفه من كتاب الطاهر الحداد الموسوم بـ المرأة في الشريعة والمجتمع،<sup>2</sup> والذي أثار نقاشاً واسعاً في الأوساط الفكرية والثقافية بالجزائر، الأمر الذي دفع الشيخ أبا اليقظان إلى الرد عليه من خلال مقال بعنوان قنبلة الإلحاد في تونس، جاء فيه: «إن من يقرأ أسطرًا أو سطرين من الكتاب... يجده عند التأمل... تشكيكًا في الدين والتشريع الإسلامي، ونقضًا لما أبرمه الله في كتابه الكريم، كأنما يقول لنا الحداد أن سيّد الرسول المجدد للإسلام الناسخ لكثير من آياته البيّنات المعدّل لكثير من مسائله وأحكامه العادلة كمسألة الميراث والطلاق وتعدد الزوجات والحجاب وشهادة المرأة ومنزلتها مع الرجل....»<sup>3</sup>

ففي الوقت الذي كان يرى فيه الحداد إمكانية النظر في بعض الأحكام لتغييرها بتغيير الظروف والمستجدات يؤكد أبو اليقظان من جهته أن المسائل التي خاض

<sup>1</sup> نفسه، ص 89.

<sup>2</sup> عبد الرزاق قسوم أبو اليقظان خطورة التحدي وصلابة الاستجابة مجلة الموافقات، عدد 05، منشورات بالمعهد العالي لأصول الدين الجزائر، 1996، ص 312.

<sup>3</sup> فردان الميلود، فتح محمود، مرجع سابق، ص 381.

فيها الحداد هي من الأحكام القطعية الدلالة، والتي لا مجال للفكر الإنساني الخوض فيها واستحداث أحكام قد فصل فيها الشرع منذ زمن بعيد.

كما يؤكد أبو اليقظان بأن الإسلام حينما فرض الحجاب على المرأة، إنما لحكمة اقتضاها وهي حكمة لا ترتفع بمجرد بعد الناس عن الرذيلة وارتقائهم في مدارج الكمال، ومن ثمة فإن القضية لا تستدع جدالا على اعتبار أن الحجاب أمرا لا يقبل بالتعطيل أو التفضيل على حد قوله.<sup>1</sup>

لقد دافع الشيخ أبو اليقظان عن المرأة وعن إسلاميتها وعروبيتها ضد الغرب، خاصة في قضية الحجاب، حيث أكد مشروعيته باعتباره رمز العفة والفضيلة والأنوثة وفي هذا الصدد يقول: "إن مسألة السفور والحجاب ليست مسألة جمود وحركة رقي وانحطاط، علم وجهل، بل هي مسألة تدين وتجرد، عفاف و تهتك عقل وطيش، وجملة هذه فتنة من فتن أوروبا خدعت بها أغرار المسلمين لينصرفوا عن واجباتهم الدينية والوطنية الحقيقية..".<sup>2</sup>

كما عالج الشيخ هذه المشكلة بناء على نصوص القرآن والسنة النبوية، فدعا علماء الأمة إلى محاربة كل محاولات النيل من الحجاب والتشجيع على السفور، إضافة إلى محاربة كل السلوكات التي تصدرها المرأة غير مبالية بتعاليم الدين الإسلامي وتعاليم الشريعة خاصة قضية التبرج، فكان نداؤه الصارخ إلى النساء اللواتي خلعن أثواب العروبة ولبسن أثواب أوروبية جديدة عليهن وعلى الإسلام، فلقد استاء لهذا الحال الأسيف، وتساءل عن الأسباب التي دفعتهن إلى اقتراف هذه الجريمة في حق المرأة المسلمة، فيعتبر ذلك مظهر من مظاهر السفور والخروج عن الآداب

<sup>1</sup>فردان الميلود، فتح محمود، مرجع سابق، ص 381.

<sup>2</sup>فردان الميلود، فتح محمود، مرجع سابق، ص 378.

الإسلامية، حيث ندد بها واعتبرها خطرا على مقومات الأمة الإسلامية، بما فيه تماسك المجتمع، وعن ذلك يقول وهو في قمة الأسف والحسرة ما يلي: "إن القلب ينقطع حزنا وكمدا، وإن الصدر ليتفجر بأسا وقنوطا وإن الفؤاد ليذوب حسرة وأسفا على نساء اليوم وما صرنا إليه من تدهور في الأخلاق وخروج على دين جل جلاله... فقد حارت عقولنا فيكن، وجدير بنا أن نختار... يا نساء الإسلام وبنات العرب الكرام، ما الذي أدى بكن إلى هذا التبرج.....<sup>1</sup>

وبهذا يكون أبي اليقظان قد أسهم في إخراج المرأة من العزلة التي عرفتها خلال الحقبة الاستعمارية، والتهميش الذي طالها بسببه من خلال دعوته إلى تعليم المرأة وتوجيهها بما يصلح حالها وحال دينها وديناها وما تكتمل به شخصيتها لتكون أما صالحة وزوجة وفية وشقيقة مخلصنة.

#### 4- المرأة في فكر الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض<sup>2</sup>:

اهتم الشيخ إبراهيم بيوض بموضوع المرأة، حيث بين مكانتها ودورها في المجتمع باعتبارها الساعد الأيمن لزوجها الرجل في شؤون الحياة بقوله " المرأة المؤمنة عندنا ما تزال هي الركيزة الأولى في البناء العائلي، لا تتصرف في مسؤوليتها الفطرية بنتا

<sup>1</sup> ركة محمد، كريمي خديجة، مرجع سابق، ص 13.

<sup>2</sup> الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض هو رائد النهضة الإصلاحية في وادي ميزاب ولد بالقرارة سنة 1899 وتعلم في مسقط رأسه على يد خيرة مشايخ المنطقة، عرف بذكائه وفصاحته، لسانه، دخل معترك العمل الاجتماعي والتربوي حيث عين شيخا لحلقة العزابة في بلده كما أسس معهد الحياة عام 1925 وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين عام 1931، حيث أنتخب عضوا في إدارتها (أمين مالها)، وفي عام 1937 أسس جمعية الحياة بالقرارة، تعرض لمضايقات فرنسا حيث حكمت عليه بالإقامة الجبرية داخل القرارة لمدة أربعة سنوات كان عضوا في لجنة إغاثة فلسطين سنة 1947، كما كان معارضا لقضية فصل الصحراء عن الشمال له تراث فكري كانت حياته حافلة بالجهاد إلى أن توفي في مارس 1981 (نقلا عن: أمينة جامعة بن رحال، "الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 06، العدد 11، 28، ديسمبر 2016، ص 183)

أو زوجة أو أما إلا وفق ما يمليه عليها ضميرها الديني ووعيتها الاجتماعي... إيماناً منها بأنها حاضنة الأجيال ووعاء للطهر والفضيلة، وحارسة للعرض والشرف، فهي المنبت الطيب للعقب والذرية لا تشوبها لوثة العار بكرة، حصاناً، ولا تدينسها ذنينة الخيانة زوجاً مصاناً... معتمدة على نفسها في تدبير شؤون بيتها وتربية أطفالها، حافظة غيب زوجها ما بقي يضرب في أرض الله طلباً للرزق<sup>1</sup>. وهنا يؤكد لنا الشيخ بأن المرأة هي العمود الفقري والأساسي في بناء الأسرة الصالحة وفقاً لمبادئ الدين الإسلامي والأعراف الاجتماعية التي نشأت عليها.

وعن مسألة عمل المرأة يؤكد الشيخ على ضرورة تفرغ المرأة لدورها التربوي للأسرة وعدم اشتغالها بأي عمل قد يصرفها عن القيام بواجباتها المنزلية وبعدها عن تربية أبنائها، باعتبارها الركيزة الأساسية في إدارة وتسيير شؤون بيتها، فغياب المرأة عن بيتها لا يمكن أن يعوضه شخص آخر مهما كانت مكانته في الأسرة، حيث يقول الشيخ منها المجتمع إلى عظمة دور المرأة داخل الأسرة بقوله: "نحن لا ننكر مبدأ حق عمل المرأة متى دعت إليها وضعيتها الاجتماعية أو اقتضت ذلك الظروف الخاصة للأمة، وإنما الذي لا يمكن أن نتساهل فيه هو إهمالها للأسرة وحضانة الأولاد، والقيام على شؤون البيت ذلك الواجب المقدس للمرأة، والذي لا يمكن أن يعوضها فيه الخدم والحواضن الأخرى مهما تخصصن في هذه المهمة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر (1744-1962)، جمعية التراث، ط1، غرداية، الجزائر، 2011، ص 551.

<sup>2</sup>تور الدين سوكمال، منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد ابن باديس وإبراهيم بيوض، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، (2007-2008)، ص 426.

وعن قضية تعليم المرأة فيرى الشيخ بأن يبقى تعليمها كما كان قبل الثلاثينات تعليماً شفوياً تلقن فيه بعض العلوم التي تعينها على أداء واجباتها الدينية وتعلم بعض المهارات كالخياطة والنسيج، لتتجح في حياتها الزوجية، أما الكتابة فيرى ألا تعلم المرأة، لأنه ربما كانت وسيلة لإفسادها عندما تكون أداة لتبادل الرسائل بينها وبين الفتیان في المجتمع.

والملفت للانتباه بأن الشيخ بيوض لم يحذو حذو أغلب علماء الإصلاح في قضية تعليم المرأة حيث حث أغلبهم على وجوب تعليمها باعتبارها اللبنة الأساسية لبناء المجتمع والحفاظ على مقوماته. لقد عارض الشيخ بيوض في هذا الموضوع بعض تلامذته من بينهم الشيخ عدون الشريف<sup>1</sup> الذي خالفه الرأي في هذه المسألة، فأكد على ضرورة دخول الفتاة الميزابية إلى المدارس الحرة التي فتحت لها أبواب التعليم في منتصف الثلاثينات، ولم يقف الشيخ بيوض ضدهم واكتفى بالقول "لم أمر بها ولم تسؤني"، بمعنى لم أمر بدخول البنات إلى هذه المدارس ولكن دخولها لا يسوؤني. وقد بادر الشيخ عدون من أجل كسر حاجز الخوف لدى سكان المنطقة وادي ميزاب مما جعلهم يترددون في إرسال بناتهم للتعليم، حيث نجده قد رافق ابنته إلى مدير المدرسة العربية الحرة وطلب منه أن يوافق على تدريسها مع الذكور وأن يجلسها في

<sup>1</sup> هو الشيخ سعيد بن الحاج بن عدون بن الحاج عمر شريقي الشهير باسم الشيخ عدون (1902 2004)، أحد أعلام القرارة تعلم في مسقط رأسه، ثم سافر إلى بانتة للاشتغال في التجارة، ليعود عام 1915 إلى مجالس العلم بالقرارة ثم التحق بمعهد الشيخ الحاج عمر بن يحي سنة 1920 ليؤسس مع الشيخ بيوض معهد الحياة عام 1925 حيث عينه الشيخ مديراً للمعهد وبقي حتى وفاته، له مقالات عدة في صحف أبي اليقظان، كما شارك في تأسيس جمعية الحياة سنة 1937 وبعد وفاة الشيخ بيوض أصبح عدون رئيساً لها، كما أنه من مؤسسي فرع للكشافة الإسلامية بالقرارة، رئيساً لجمعية التراث ولمجلس عمي سعيد خلفاً للشيخ عبد الرحمان بكلي، توفي رحمه الله عن عمر يناهز 102 سنة. (نقلاً عن: ركية منزل غرابية، أحلام بوساحة، "الشيخ سعيد شريقي (عدون) وأراؤه الإصلاحية"، مجلة الإحياء، المجلد 23، العدد 32، جانفي 2023، ص 420).

مؤخرة القسم بعد أن ألبسها لباسهم المتمثل في الطاقية والعباءة البيضاء، ثم توسعت الفكرة مع الوقت لتتحول إلى أقسام ثم إلى مدرسة مستقلة بطاقمها الإداري والتربوي التعليمي.<sup>1</sup>

تذكر الإحصائيات بأن عدد التلميذات في المدارس الحرة كان في تزايد مستمر، حيث وصل عددهن بمدرستي القرارة وبريان سنة 1959 إلى حوالي 200 تلميذة، ليرتفع العدد في مدرسة الحياة بالقرارة عام 1964، حيث وصل إلى 397 تلميذة، وفي سنة 1970 بلغ عددهن أزيد من 880 تلميذة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المجهودات الجبارة التي بذلها رجال العلم والإصلاح في ميزاب قد بدأت تظهر نتائجها من خلال التزايد المستمر لعدد المقبلات على التعليم فأصبح لهن دور عظيم من خلال مساهمتهم في البناء الأسري والاجتماعي وفق مبادئ إسلامية سمحة وصدق الشاعر حافظ إبراهيم حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها .. أعددت شعبا طيب الأعراق

وفي الأخير نقول بأن للمرأة أهمية عظمى في المجتمع، فبدون وجودها لا يمكن أن تسير عجلة الحياة باعتبارها تشكل محورا أساسيا في سبيل بناء مجتمع متماسك ومتطور، وذلك من خلال المهام والأدوار والمسؤوليات المختلفة التي تقع على عاتقها لأنها أساس الأسرة إذ هي البذرة التي تنتج ثمارا تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها، فمن واجبنا أن نعنتي بها ولا نقلل من قيمتها سواء أكانت متعلمة أو غير متعلمة.

## ب- بروز الحركة الإصلاحية و جمعية العلماء المسلمين

<sup>1</sup>قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن العشرين وأدواره الحضارية - منطقة وادي ميزاب أنموذجًا -، مجلة الصراط، المجلد 16، العدد 02، 10 جويلية 2014، ص 185.

يُعدّ ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محطة تاريخية مفصلية في مسار النهضة الوطنية، إذ أسهمت في إحداث تحوّل عميق على مستوى الفكر والوعي المجتمعي، فأيقظت العقول، ونبّهت الضمائر، وبعثت روح الإصلاح في النفوس. وقد مثّلت بذلك نموذجًا رائدًا للمقاومة الفكرية والثقافية، التي حافظت على مقومات الشخصية الجزائرية، وصانته هويتها العربية الإسلامية، وأمنت استمرارية بعدها الحضاري إلى يومنا هذا.

وقد انطلق مشروعها الإصلاحي من وعي علمائها بأهمية البعد الثقافي والفكري في عملية النهوض بالأمة، فعملوا على نشر العلم الصحيح والمعرفة الرصينة، من خلال جهود متكاملة شملت التدريس، والإرشاد، والتأليف، والنقد، والفتوى، بما أفضى إلى بناء مرجعية فكرية موحدة، تنتظم في إطارها مختلف الجهود الإصلاحية وتتكامل مقاصدها<sup>1</sup>.

كما عبّرت هذه الحركة عن نهضة ثقافية أصيلة، أعادت للجزائر مكانتها الاعتبارية، ورسّخت ملامح هويتها الدينية والتاريخية والثقافية<sup>2</sup>، في انسجام مع تقاليدنا الاجتماعية السليمة. وقد تجلّى ذلك في سعيها إلى تحقيق التغيير الاجتماعي من خلال الإصلاح الديني، القائم على منهج التصفية والتربية، عبر تنقية العقيدة من

<sup>1</sup> علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر: محمد يحياتن، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ص 20.

<sup>2</sup> يقده الزبير، سياسة الإستعمار الفرنسي في الجزائر و ثقافة المقاومة الشعبية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 3.

مظاهر الشرك والبدع، وإحلال الفهم الصحيح للدين، وترسيخ مبادئ التربية والتعليم وفق المنهج النبوي، بما يسهم في بناء الفرد والمجتمع على أسس سليمة.

وفي سياق مواجهتها لمشاريع التدمير الاستعماري، وظّفت جمعية العلماء مختلف الوسائل الفكرية والتربوية لمقاومة محاولات طمس الهوية، فأستت بذلك قاعدة صلبة للنهضة الجزائرية، وأمدّت المجتمع بدوافع قوية للانخراط في مسار التحرر،<sup>1</sup> كما تمكنت، بفضل منهجها العلمي الموضوعي، من تشخيص أزمت المجتمع وتحليل اختلالاته، مما ساعدها على رسم خطة إصلاحية متكاملة، تهدف إلى تحقيق التوازن المجتمعي، ورأب الصدع، وتمهيد الأرضية الفكرية والثقافية للاستقلال، في إطار الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للكيان الجزائري.

وقد أفضت هذه الجهود إلى تحقيق إصلاح اجتماعي عميق، قائم على تعزيز ارتباط الفرد بدينه والرجوع إلى أصوله، الأمر الذي أكسب الجمعية مكانة مرجعية بارزة في المجتمع الجزائري، وجعلها منطلقاً أساساً لتصحيح المعتقد، وإحياء الدعوة الإسلامية على أسس علمية رصينة، قوامها إصلاح الفرد باعتباره النواة الأساسية لإصلاح المجتمع.<sup>2</sup>

إن حركة الإصلاح الديني في الجزائر، رغم امتداد جذورها في تاريخ الحركات الإصلاحية في العالمين العربي والإسلامي، تميزت بخصوصيتها وفرادتها، إذ شكّلت نسيجاً اجتماعياً متكاملًا في بنيته ووظائفه، وركّزت على بناء نخبة واعية تمثل العقل

<sup>1</sup> محمد خير الدين، مذكرة الشيخ محمد خير الدين، ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ص 123.  
<sup>2</sup> لعماري مريم، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشيط وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية: تحليل مضمون لعينة من صحيفة البصائر 1935-1936. مجلة معارف (MAAREF Revue académique)، العدد 21، 2016، ص 204.

المفكر للأمة ومرجعيتها وقيادتها، بما يعزز قدرتها على تنظيم المجتمع وتفعيله في مختلف مجالات الحياة<sup>1</sup>.

كما أسهمت في ترسيخ منظومة تربوية وثقافية شاملة، تستهدف تحقيق الإصلاح المتكامل، من خلال إدماج القيم الدينية في مختلف أنساق الحياة الاجتماعية، بحيث تتحول إلى منهج حياة يومي يشمل سلوك الأفراد والجماعات. ولم تقتصر جهودها على الجانب الديني فحسب، بل امتدت لتشمل مختلف المجالات الاجتماعية، حيث أولت عناية خاصة بالتعليم، والإعلام، والعمل الخيري، وإحياء نظام الأوقاف، مما جعلها رافداً أساسياً للحياة الثقافية والفكرية<sup>2</sup>.

وقد مكّنت هذه الجهود من حماية المجتمع الجزائري من محاولات الاستلاب الثقافي والاستعمار الفكري<sup>3</sup>، وأسهمت في توجيهه نحو مسار نهضوي متكامل، يهدف إلى تحقيق التقدم الحضاري، والارتقاء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي<sup>4</sup>.

### ثانياً: الصحافة الإصلاحية و قضية المرأة البصائر أنموذجاً

شهدت الصحافة الإصلاحية اهتماماً متزايداً بقضية المرأة، حيث سعت إلى إبراز مكانتها في المجتمع والدعوة إلى النهوض بها علمياً وأخلاقياً. ففي العدد الثامن، نشر الكاتب حمزة أبو كوشة مقالاً بعنوان "قيمة المرأة في المجتمع"، استهله بعبارة بليغة تعكس أهمية المرأة، إذ شبهها بالروح بالنسبة للجسد، في إشارة إلى دورها

<sup>1</sup> علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 48.

<sup>2</sup> علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 51.

<sup>3</sup> محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية و المعيارية، ط 1، الولاية المتحدة الأمريكية، المعهد

العالمي للفكر الإسلامي، 1991، ص 142.

<sup>4</sup> لعماري مريم، مرجع سابق، ص 205.

الحيوي والأساسي في بناء المجتمع. وقد ركّز المقال على فكرة جوهرية مفادها أن صلاح المرأة من صلاح الأمة، وأن النهوض بها لا يتحقق إلا من خلال تمكينها من حقوقها الأساسية، وعلى رأسها التعليم، الذي يُعدّ الركيزة الأولى لوعيها وتطورها<sup>1</sup>.

كما تضمن المقال عرضاً لأربعة محاور أساسية تمثل دعائم مكانة المرأة، تمثلت في: حقها في التعلم، وضرورة صون كرامتها، وتمكينها من أداء دورها الاجتماعي، إضافة إلى تهذيب سلوكها بما ينسجم مع القيم الأخلاقية والدينية. ومن خلال هذا الطرح، سعت الصحافة الإصلاحية إلى تغيير النظرة التقليدية للمرأة، والانتقال بها من كائن مهمّش إلى عنصر فعّال ومؤثر في المجتمع.

وفي سياق موازٍ، نشرت الجريدة في العدد السابع والأربعين قصيدة بعنوان "أدب فتاة العصر"، تناولت من خلالها الأخلاق التي ينبغي أن تتحلّى بها الفتاة، مركزة على قيم الحياء، والعلم، والالتزام، باعتبارها أسساً لبناء شخصية متوازنة قادرة على مواجهة تحديات العصر. كما نشرت في العدد الثامن والأربعين قصيدة أخرى بعنوان "المرأة كما أرادها أدياء التجديد"، والتي عالجت صورة المرأة في ظل التيارات الداعية إلى التجديد، منتقدة بعض التصورات التي تسعى إلى إفراغ المرأة من هويتها وقيمها الأصيلة.

وعلى الرغم من قلة المواضيع التي تناولت المرأة في جريدة البصائر، إلا أنها كانت ذات قيمة فكرية عميقة ودلالة إصلاحية واضحة، حيث ساهمت بشكل فعّال في إثارة

<sup>1</sup>قرة عائشة، دور صحافة العلماء المسلمين الجزائريين في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري: قراءة في صحف جمعية العلماء المسلمين. مجلة آفاق للبحوث والدراسات، المجلد 2، العدد 2، 2018، ص 188.

الوعي بقضايا المرأة الجزائرية، والدعوة إلى تحسين أوضاعها في إطار يحافظ على ثوابت المجتمع ويواكب في الوقت ذاته متطلبات التطور<sup>1</sup>.

### ثالثاً: قضايا المرأة في الخطاب الإصلاحي

#### أ- صورة المرأة في الخطاب الإصلاحي

شهدت الجزائر خلال فترة الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وما تلاها بروز اهتمام متزايد بقضايا المرأة داخل أوساط النخبة الوطنية الإصلاحية، وذلك في سياق اجتماعي وسياسي اتسم بالتحويلات والانفتاح النسبي الذي أفرزته ظروف المرحلة. وقد انعكس هذا الاهتمام في كتابات المفكرين والمصلحين الذين سعوا إلى تشخيص واقع المجتمع الجزائري، واعتبروا أن قضية المرأة تمثل أحد المداخل الأساسية لفهم أزمة التخلف والبحث عن سبل النهوض.

وقد رأت هذه النخبة أن المرأة الجزائرية كانت تعاني من مظاهر الجهل والتهميش، وهو ما انعكس سلباً على بنية المجتمع ككل. غير أن هذا الطرح لم يكن انتقادياً بقدر ما كان إصلاحياً، إذ سعى إلى إبراز أهمية تعليم المرأة ورفع مستواها الفكري

<sup>1</sup>قرة عائشة، مرجع سابق، ص 188.

والثقافي باعتبارها ركيزة أساسية في بناء المجتمع. فقد أشار بعض الكتاب إلى أن "جهل المرأة المسلمة" لا يمثل مجرد حالة فردية، بل هو عامل من عوامل تعطيل تقدم المجتمع، وأن إصلاحها يمثل خطوة ضرورية لتحقيق النهضة<sup>1</sup>.

وفي المقابل، قدّم الخطاب الإصلاحي صورة إيجابية ومثالية للمرأة، حيث تم التأكيد على أنها عنصر محوري في البناء الاجتماعي، وعمود أساسي في استقرار الأسرة وتماسكها. فالمرأة في نظرهم ليست مجرد كائن تابع، بل هي شريك فاعل في مسار الحياة الاجتماعية، تؤدي أدوارًا تربوية وأخلاقية وثقافية، وتسهم في نقل القيم الدينية والوطنية إلى الأجيال الصاعدة.

وقد عبّر عدد من المصلحين عن هذا التوجه من خلال كتاباتهم في الصحف الإصلاحية، مثل مجلة "الفاروق"<sup>2</sup>، حيث تم التأكيد على ضرورة العودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة في ما يتعلق بمكانة المرأة، باعتبار أن الإسلام قد كفل لها حقوقها وكرس دورها في المجتمع، وجعلها شريكة للرجل في بناء الأسرة والمجتمع. كما شددوا على أن إصلاح المرأة لا يمكن أن يتم إلا في إطار القيم الإسلامية، التي تضمن التوازن بين الحقوق والواجبات<sup>3</sup>.

ومن بين أبرز أعلام الإصلاح الذين أولوا اهتمامًا خاصًا بالمرأة، الشيخ مولود بن موهوب، الذي اعتبر أن إصلاح المجتمع يبدأ من إصلاح المرأة، وذلك من خلال

<sup>1</sup> مريم العماري، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية، تحليل مضمون لعينة من صحيفة البصائر 1935-1936، المعارف، العدد 21، 2016، ص 171.

<sup>2</sup> عمر بن قنور، جهل المرأة المسلمة، جريدة الفاروق العدد 33، الموافق لـ 23 نوفمبر 1913، الجزائر 1913.

<sup>3</sup> يحيى بوعزيز، موضوعات و قضايا المرأة الجزائرية و حركة الإصلاح النسوية العربية، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 24.

تعليمها وتهذيبها وتربيتها على أسس دينية وأخلاقية سليمة،<sup>1</sup> كما أكد أن المرأة ليست عنصرًا ثانويًا، بل هي محور أساسي في عملية البناء الاجتماعي، وأن تمكينها علميًا وثقافيًا ينعكس إيجابًا على الأسرة والمجتمع ككل.

وعليه، فقد سعى الخطاب الإصلاحي إلى إعادة الاعتبار للمرأة الجزائرية، من خلال إبراز دورها الحيوي، والتأكيد على ضرورتها في تحقيق النهضة، مع الحفاظ في الوقت نفسه على الهوية الدينية والثقافية للمجتمع.

### ب- أبرز القضايا التي تناولتها الصحف الإصلاحية

تناولت الصحافة الإصلاحية الجزائرية قضايا المرأة بشكل واسع، باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من مشروع الإصلاح الشامل للمجتمع. وقد ركزت هذه الصحف على مجموعة من القضايا الجوهرية التي مست واقع المرأة، وسعت إلى معالجتها في ضوء المرجعية الإسلامية والقيم الاجتماعية الأصيلة.

### التعليم:

يُعد التعليم من أبرز القضايا التي أولتها الصحافة الإصلاحية اهتمامًا خاصًا، حيث دعت إلى ضرورة تعليم المرأة باعتباره أساس نهضتها ونهضة المجتمع. فقد رأى المصلحون أن جهل المرأة يشكل عائقًا أمام تقدم الأسرة والمجتمع، وأن تمكينها من

<sup>1</sup> أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ج 1، مؤسسة كنوزالحكمة، الجزائر، ط 1، 2013، ص 219.

العلم يساهم في إعداد جيل واعٍ ومتقف. كما أكدوا أن تعليم المرأة يجب أن يتم في إطار القيم الدينية، بما يحافظ على هويتها الأخلاقية والدينية<sup>1</sup>.

### الحجاب:

تناول الخطاب الإصلاحي قضية الحجاب من زاوية دينية وأخلاقية، حيث اعتُبر رمزاً للهوية الإسلامية وعاملاً في حفظ كرامة المرأة. وقد دافعت الصحف الإصلاحية عن الحجاب، معتبرة أنه لا يمثل تقييداً للمرأة، بل هو وسيلة لحمايتها والحفاظ على قيم المجتمع. كما ربطت بين الحجاب والالتزام الأخلاقي، داعية إلى الالتزام بتعاليم الإسلام في اللباس والسلوك.

### الزواج والأسرة:

اهتمت الصحافة الإصلاحية بقضية الزواج، حيث دعت إلى ترسيخ مفهوم الزواج القائم على أسس دينية وأخلاقية، بعيداً عن العادات السلبية مثل الزواج القسري أو المبكر. كما شددت على أهمية تكافؤ الحقوق والواجبات بين الزوجين، واعتبرت أن الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع، وأن استقرارها ينعكس مباشرة على استقرار المجتمع ككل.

### العمل:

ناقشت الصحافة الإصلاحية مسألة عمل المرأة، حيث لم ترفض عملها بشكل مطلق، بل اشترطت أن يكون العمل متوافقاً مع القيم الدينية والاجتماعية، وألا يؤثر

<sup>1</sup>إبرير الطاهر، وبنادي محمد الطاهر، "قضايا المرأة الجزائرية من خلال الصحافة الإصلاحية فيما بين 1919-1954". مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 12، العدد 1، أبريل 2021، ص 435.

على دورها الأساسي في الأسرة. وقد اعتُبر عمل المرأة وسيلة للمساهمة في تنمية المجتمع، بشرط أن يحترم خصوصيتها ويحافظ على توازنها الأسري.

### القيم والأخلاق:

ركز الخطاب الإصلاحي أيضاً على ضرورة الحفاظ على القيم الأخلاقية والدينية، حيث اعتُبرت المرأة حاملة لهذه القيم ومسؤولة عن نقلها للأجيال. ومن هذا المنطلق، تم التأكيد على أهمية دورها التربوي في تنشئة الأطفال على المبادئ الإسلامية والوطنية<sup>1</sup>.

يتضح من خلال ما تناولته الصحافة الإصلاحية أن قضية المرأة كانت جزءاً أساسياً من المشروع الإصلاحي في الجزائر، حيث تم التركيز على تعليمها وتمكينها، مع الحفاظ على هويتها الدينية والثقافية. كما تم التأكيد على دورها الحيوي في الأسرة والمجتمع، باعتبارها شريكاً أساسياً في عملية البناء والتنمية، وهو ما يعكس رؤية إصلاحية متوازنة تجمع بين الحداثة والأصالة.

### رابعاً: خطاب الشيخ عبد الحميد ابن باديس حول المرأة

نظر ابن باديس بعمق في قضية ترقية المرأة الجزائرية والنهوض بها، فبعد أن أسس جمعية التربية والتعليم الإسلامية أسس معها مدرسة التربية والتعليم وفتح بها أقساماً خاصة للبنات في قسنطينة، إذ كانت هذه المبادرة الأولى من نوعها في الجزائر

<sup>1</sup> إبرير الطاهر، وبنادي محمد الطاهر، قضايا المرأة الجزائرية من خلال الصحافة الإصلاحية فيما بين 1919-1954، المجلد 12، العدد 01، 2021، ص 436.

المستعمرة، وقد ضمن القانون الأساسي لهذه الجمعية بندا يتعلق بتعليمها مجانا تحفيزا لها على الاندماج في العملية التعليمية التي كانت شبه معدومة قبل مجهودات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث ذكر " سواء كن قدرات على دفع مصاريفه أم عاجزات عن دفعها، وذلك تشجيعا لهن على الإقبال للدراسة والمواظبة عليها"<sup>1</sup>

وقد عمم الإجراء على كافة مدارس الجمعية بكل القطر الجزائري ونذكر من هذه المدارس دارالحديث بمدينة تلمسان<sup>2</sup> التي أسسها محمد البشير الإبراهيمي عام 1937، وبالموازاة مع هذا النهج التعليمي فعل دور المساجد في تعليمهن وخصص لهن أجنحة بهذه المرافق الدينية للتعليم والتثقيف وسماع الخطب بالجمعة وهذا لم يكن بالمجهود الهين بل هو ثمرة نضال ضد الجهل، وقد اعتنى بهذا الموضوع من خلال الدعوة للاهتمام بالمرأة داخل البيت وخارجه، ومنندا بالعادات والتقاليد البالية وداعيا إلى نبذها<sup>3</sup>.

كانت نظرة العلماء شمولية مبنية على أن البيت والمدرسة هما الركيزتان الأساسيتان في بناء الناشئة بحيث يقول ابن باديس إن البيت هو المدرسة الأولى و المصنع الأصلي لتكوين الرجال وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق والضعف الذي نجده في ناحيتهما برجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب

<sup>1</sup>مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1931، عالم الأفكار، الجزائر، 2011، ص 109.

<sup>2</sup>أثمرت مجهودات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن افتتاح مدرسة حرة للتعليم تحت إشراف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أطلق عليها اسم مدرسة دار الحديث في 28/27/سبتمبر/1937 بحضور المجلس الإداري للجمعية واعيان مدينة تلمسان ووجهائها ووجهت كذلك دعوة إلى كل المواطنين عبر صفحات جريدة البصائر للمشاركة في الافتتاحية ينظر: محمد البشير الإبراهيمي مدرسة دار الحديث، مجلة البصائر، العدد 81 س4 مج4 الجمعة 12 رجب 1356 الموافق 17 سبتمبر 1937، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص246

<sup>3</sup>يحي بوعزيز موضوعات وقضايا المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، المرجع السابق، ص-28.

جهل الأمهات وقلة تدينهن»<sup>1</sup>، لهذا أدرك موطن الخلل في فساد المجتمع وربطه بقدرة المرأة على تكيف الناشئة وطرح المسألة للمناقشة والحوار لأجل الخروج بحلول ناجعة لهذا التماطل في معالجة هذه الظاهرة الأخلاقية والتربوية<sup>2</sup> فقد كتبت إحدى بنات الجزائر مقالا في جريدة المنار تشرح فيه واقع المرأة الجزائرية في ظل الاستعمار، ومن ضمن ما ذكرته أن نساء الجزائر لهن معتقلان معتقل الاستعمار الذي شيده ببث الأفكار المسمومة حول المرأة الجزائرية المسلمة، والمعتقل الثاني هو الذي يمثله الجامدون أتباع العادات والتقاليد الموروثة والتي لا تمت بصلة للدين الإسلامي الحنيف ودعت إلى التحرر من القيود البالية وإمكانية التعليم وممارسة كل النشاطات التي تهتم المجتمع والوقوف إلى جانب الرجل في جهاده ضد الاستعمار.<sup>3</sup>

لقد ركز ابن باديس على التعليم والمحافظة على القومية العربية الإسلامية من خلال التمسك بالتقليد والحفاظ على الأصالة والاحتشام لدى المرأة الجزائرية، فقد كتب في هذا الشأن مقالا في جريدة المنتقد حول مسألة التقليد جاء فيه ما يلي " نظن أن بنات الأستانة قد طاح الفال عندنا من نموذجهن لكن في التبرج والتفرنج لا في التعليم والتقدم"<sup>4</sup>، وقد أشارت بعض الوثائق الفرنسية أن برنامج تعليم البنات مغاير لما عليه بقية البرامج التعليمية الأخرى فقد احتوى على المبادئ الأساسية للتعليم والأخلاق والتدبير المنزلي ورعاية الأطفال وغير ذلك مما تختص به المرأة لأوثنتها.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> مازن صلاح حامد مطبقاني، المرجع السابق، ص 108

<sup>2</sup> أحمد مريوش المرجع السابق، ص 228

<sup>3</sup> فضيلة أحمد، حق المرأة الجزائرية في النهضة جريدة المنار العدد 46 س 3 الموافقة لـ 24 جويلية 1953. دار البصائر الجزائر، ط1، 2007، ص 4.

<sup>4</sup> عبد الحميد بن باديس، "ملاحظاتي". جريدة المنتقد، العدد 10 الخميس 14 صفر 1344 الموافق لـ 3 سبتمبر 1925 شركة العلال للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015 ص 187.

<sup>5</sup> مازن صلاح حامد مطبقاني، المرجع السابق، ص 109

كان الشيخ ابن باديس يخرج بنفسه ليطوف على الناس في المتاجر ويجمع الاشتراكات ويروج لتعليم البنات ويحث الناس على ذلك، وكتب في هذا الشأن عدة مقالات بجريدة الشهاب والبصائر حول تعليم المرأة والاعتناء بها<sup>1</sup>، لأن التعليم يستفيد منه الأولاد دون البنات، اللهم إلا إذا كانت هناك عائلات غنية تستأجر شيئا مسنا تعهد إليه بتأديب بناتها، لأن العادات لم تكن تسمح لهن في الوسط الجزائري بالاختلاط في المدارس التي يوجد بها الأولاد، كما أنها لم تكن تسمح بتخصيص مدارس خاصة بهن، لأن تعليم البنات هو من الأمور الثانوية التي لا يولون لها أهمية<sup>2</sup>.

كما كان دائما يحذر من تكرر المرأة لقوميتها لأن نتائجها ستكون وخيمة على المجتمع، ما ينتج عنه جيل لا يعرف طريقا لوطنه والعروبته وربما حتى لإسلامه، فهي الحالة الوحيدة التي يفضل فيها ابن باديس المرأة الجاهلة العارفة لأصلها والمنتسبة لوطنها عن المرأة العارفة والرافضة لمقومات الهوية العربية لقد حارب رجال الحركة الإصلاحية الاستعمار بكل توجهاته الفكرية، وغلاة التمدن من المستوطنين الذين طالبوا برفع حجاب الستر عن المرأة بدعوى أنها من العادات البالية لذا أدركت الجمعية مقاصد الاستعمار وطالبت برفع حجاب الجهل عن عقلها قبل أن يرفع حجاب الستر عن وجهها لأنه ما ضرها في زمان تقدمها فقد بلغت بنات قرطبة وبغداد وبجاية مكانا عاليا في العلم وهن متحجبات فمضى تحرير المرأة كما كانت الدوائر الاستعمارية تعمل له كان يصبو لفتح جهة تتحقق من خلالها مقاصد و مأرب العدو على الأمة.

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، المرجع السابق، ص ص 27-28.

<sup>2</sup> حميد بن سالم، الثقافة الإسلامية و مكانة اللغة العربية في الجزائر قبل الإستقلال، مجلة اللسان العربي، العدد 01، مكتب تنسيق التعري بالرباط، المغرب، 1964، ص 36.

لقد اهتم ابن باديس أيضا اهتماما بالمرأة لأنه كان يرى فيها العنصر المساعد على إنجاح الحركة الإصلاحية المبنية على الشمولية والتفاعلية بين طبقات المجتمع، ودور النساء خلف الرجال يكتسي التنويه به فالأمة بدونهن كالجسد المبتور من أحد أعضائه، فهو يرى أن الأمة التي تخص الذكر دون البنت بالرعاية والتعليم هي كالأطائر الذي يريد أن يخلق بجناح واحدة وثمار التعليم في الوسط النسوي أصبحت بادية للعيان وذات مردود طيب من خلال مجهودات الجمعية في هذا الميدان، لقد نوقشت خلال انعقاد المؤتمر الإسلامي الثاني عام 1937 عدة نقاط ، اثنتان منها تخص تعليم المرأة وتهذيبها للحفاظ على تماسك المجتمع<sup>1</sup>، وقد استهدفت التربية الباديسية تأهيل المرأة وتنمية قدراتها العقلية والاجتماعية والخلقية، وحتى في الجانب الاقتصادي من خلال الاعتماد على الذات في تسيير شؤون أسرتها وتلبية حاجياتها الأولية بالرجوع إلى الصناعات التقليدية وهذا لأجل التكيف والتأقلم مع بيئتها الخارجية الصعبة في ظل السياسة الاستعمارية المقيتة<sup>2</sup>، كما اعتبر أن الأفضلية بين الرجل والمرأة تتجسد فقط في الأنفع و الأصلح للمجتمع والأمة الإسلامية فالسيادة حظ العاملين وهم على درجات حسب الكفاءة والقدرة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> حميدي بوبكر الصديق قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920/1954 دار الهدى الجزائر 2015 ص 104.

<sup>2</sup> أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 228.

<sup>3</sup> سليمان عشراطي، المرجع السابق، ص 29.

## الفصل الثالث

تطور الخطاب الاصلاحى النسوي بعد الحرب

العالمية الثانية

## اولا- التحولات الاجتماعية والسياسية

اضطلعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدور سياسي بارز منذ تأسيسها عام 1931، بالتوازي مع مشروعها الديني والثقافي. غير أن التضيق والبطش الشديد الذي طال قياداتها إبان مجازر الثامن من ماي 1945 أحدث تحولاً في منهجها الفكري والعملية؛ إذ نحت الجمعية نحو تجنب الانخراط العلني في التجاذبات السياسية المباشرة، مفضلةً التأثير غير المباشر، وتركيز نشاطها الميداني على متابعة المطالب التي سبق وأن رفعتها إلى السلطات الاستعمارية الفرنسية في مذكرة خاصة يوم 15 أوت 1944. وقد تمحورت تلك المطالب الأساسية حول ثلاثة مرتكزات:

- المرتكز التعليمي: كفالة حرية التعليم وتأمين نشاط المدارس والمساجد الحرة.
- المرتكز الديني: فصل الدين عن الدولة الاستعمارية، واسترجاع الأوقاف الإسلامية وإدارتها.
- المرتكز القضائي: إصلاح القضاء الإسلامي وتحقيق استقلاله.

وفي سبيل تنزيل هذه التطلعات، وجّهت الجمعية جهودها نحو تشييد شبكة موسعة من المدارس الحرة والمساجد عبر مختلف المدن والقرى الجزائرية، وهي المبادرة التي حظيت بالتفاف شعبي واسع. وقد تُوّج هذا المسار الثقافي والتعليمي بتأسيس "معهد الإمام عبد الحميد بن باديس" بقسنطينة؛ والذي شكّل صرحاً علمياً رائداً أسهم في بعث النهضة الثقافية الوطنية، واستقطاب الطلاب الجزائريين كبديل محلي عن الهجرة التعليمية التي كانت تقصدهم نحو جامع الزيتونة بتونس، أو الأزهر بمصر، أو القرويين بالمغرب. وبفضل هذه الديناميكية، تمكنت الجمعية —تحت رئاسة الشيخ

محمد البشير الإبراهيمي — من فرض ريادتها الفكرية والثقافية على الساحة الوطنية آنذاك<sup>1</sup>.

تجلّت الأبعاد الإصلاحية والتربوية للمرأة الجزائرية خلال النصف الأول من القرن العشرين (1900-1954) في إسهامات رائدات الحركة النسوية، اللواتي لعبن دوراً محورياً في بلورة الوعي الاجتماعي وتطوير تعليم الإناث. وقد شهدت هذه الفترة تمهداً ملحوظاً للنشاط الإصلاحي النسوي شمل الحواضر والقرى على حد سواء، حيث اتسع نطاق مشاركة المرأة ليتجاوز التعليم إلى النشر الصحفي، والتمريض، وتبني القضايا النسوية والدفاع عنها.

كما تميز نخبة من المعلمات الرائدات؛ ففي عام 1947 برزت بمدرسة «التربية والتعليم» بقسنطينة قامات تربوية مثل: حورية عربية، عقيلة كحلوش، ونعناعة ونيسي. وفي ذات السياق، شهدت مدرسة «الفلاح» بوهران نشاطاً مميزاً لكل من فاطمة طياب وأمينة زعانان. أما في الجزائر العاصمة، فقد لمع اسم «شامة بوفجي» كأول معلمة في المنطقة ومؤسسة لـ«مدرسة البنت المسلمة»، إلى جانب «فاتحة قيو» في مدرسة بيلكور. وفي الشق الإعلامي، برز اسم «ليلي بن نياي» كأول امرأة تخرق مجال الصحافة المكتوبة عبر نشر مقالات فكرية في جريدتي «الأسبوع» التونسية و«البصائر» الجزائرية، تمحورت حول قضايا المرأة وحركيتها التعليمية، إلى جانب ثلة من الرائدات اللواتي أرسين قواعد النهضة النسوية الجزائرية<sup>2</sup>

<sup>1</sup> قدادة شايب، "تحولات الحركة الوطنية الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية 1945 - 1954"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، المجلد أ، العدد 30، ديسمبر 2008، ص 150 - 151.

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز. (2001). المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص 34-49.

شكل الفضاء الجمعوي النسوي كركيزة أساسية للنهوض بأوضاع المرأة الجزائرية وتعزيز الوعي الوطني؛ حيث برزت جمعيات نسوية فاعلة قادت النضال الاجتماعي والسياسي. وجاء في طليعتها «جمعية النساء المسلمات الجزائريات»، التي تأسست في جوان 1947 بتوجيه من حزب الشعب الجزائري، وضمت في صفوفها نخباً نضالية كـ«الطبيبة نفيسة حمود»، التي زاوجت بين التوعية الاجتماعية والوطنية، قبل أن تلتحق عام 1954 بصفوف جيش التحرير الوطني في الولاية التاريخية الثالثة لتقديم الرعاية الطبية للمجاهدين.

وفي الغرب الجزائري، تأسست «جمعية نهضة المرأة المسلمة» عام 1948 بتلمسان تحت رئاسة «فتيحة كاهية»؛ وتميز طرح الجمعية بالدعوة إلى التمسك بالهوية والقيم الإسلامية، حيث تبنت موقفاً نقدياً تجاه المتعلمات في المدارس الفرنسية، ورفضت الأطروحات النسوية الراديكالية (المتطرفة) والتمرد الاجتماعي، مؤكدة على تكامل الأدوار مع الرجل ومساندة المرأة في إطار المرجعية الإسلامية. وفي ذات العام (1948)، تأسست بالعاصمة «جمعية الفتاة العربية الجزائرية»، التي برزت من بين أنشط أعضائها «أنيسة بومدين»، حيث ساهمت في التعريف بأهداف الجمعية وأنشطتها عبر كتابة مقال تعريفى في جريدة «الأسبوع» التونسية، لتتكامل هذه الجهود في صياغة مشهد نضالي نسوي متعدد الأبعاد.<sup>1</sup>

وما يمكن ملاحظته هو أن رائدات الحركة النسوية في هذه المرحلة قد اضطلعن بمسؤولية المقاومة السلمية، متخذاتٍ من حركتي التعليم والتثقيف أداةً استراتيجية

<sup>1</sup> مولود عويمر. (2016). «نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين». جريدة البصائر. 29 فيفري. العدد 797، ص18.

للتغيير والوعي في مختلف الحواضر والأرياف الجزائرية (كالجزائر العاصمة، قسنطينة، وهران، وتلمسان). وقد اكتست هذه الأنشطة التربوية في كثير من الأحيان طابعاً سرياً؛ كاستجابة حتمية لسياسات المستعمر الفرنسي الرامية إلى طمس معالم الهوية الوطنية، ومحاربة التعليم العربي، ومحاولة إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية تكريساً للمقاربة الاستعمارية القائمة على شعار «الجزائر فرنسية». وأمام هذه التحديات، خاضت المرأة الجزائرية معركة وجودية مضادة ثبتت من خلالها أركان التعليم العربي، وتمسكت بالقيم والمرجعية الإسلامية عبر تأسيس المدارس والجمعيات الحاضنة لتعليم الفتاة المسلمة.

### ثانياً - انعكاسات الحرب على دور المرأة الجزائرية

وفي هذا السياق، تبرز الأهمية البالغة للمساهمات الفكرية والأدبية للمرأة الجزائرية عبر مختلف التنظيمات والمنابر الإعلامية التابعة للحركة الإصلاحية؛ إذ جسدت هذه الجهود مساراً نضالياً وتحريراً جلياً، وسلّطت الضوء على الدور الكفاحي للمرأة في مواجهة الوجود الاستعماري الفرنسي دفاعاً عن هوية الأمة الجزائرية المسلمة. وتعدّ كتابات الأديبة "زهور ونيسي" في جريدة "البصائر" نموذجاً بارزاً في هذا الصدد، حيث ركّزت على واقع المرأة وتثمين جهود "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" لحمايتها من مخاطر الدعاية الاستعمارية. ومن أبرز ما دوّنته في هذا الشأن: «... يجدر بالفتيات المتعلّقات اليوم على الأخص مداواة أدوائهن ومعالجة أمراض مجتمعهن، فهن نور بنات جنسهن الضئيل في هذه البلاد الفاقدة لنور الحياة».<sup>1</sup>

<sup>1</sup> زهير بن علي قضايا المرأة في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925-1954، رسالة ماجستير، إ: سليمان قريري، قسم التاريخ جامعة الحاج لخضر - باتنة الجزائر 2014/2015، ص 125.

ومع اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية، توالى شواهد المشاركة البطولية للمرأة المجاهدة في مختلف مجالات العمل النضالي والتحرري مناهضةً للوجود الاستعماري. ورغم هذا الحضور الفاعل، إلا أن الملامح الحقيقية لجهود المرأة في المراحل الأولى للثورة ظلت محجوبة عن الأنظار؛ ويعزى ذلك إلى جملة من الظروف الموضوعية المحيطة بالكفاح المسلح، وفي مقدمتها الطابع السري والصارم الذي تميزت به العمليات الثورية في بداياتها، والالتزام بمبادئ الكتمان والفردية. يُضاف إلى ذلك البنية السوسيو-ثقافية للمجتمع الجزائري المحافظ، الذي كان يميل إلى إبقاء دور المرأة خلف الستار، ومواراة إنجازاتها وبطولاتها وراء الحضور العلني للرجل، سواء كان أباً، أو زوجاً، أو أخاً.

وضمن هذا السياق المتسم بالسرية والتكتم الاجتماعي، يؤكد العديد من الباحثين والمؤرخين أهمية الأدوار البطولية والإنسانية التي اضطلعت بها المرأة الجزائرية، والتي شهدت مساراً تصاعدياً متنامياً منذ اندلاع الثورة وحتى تحقيق الاستقلال. وقد تمثلت أبرز المهام النضالية والإنسانية التي أُلقيت على عاتقها:

- الدعم المالي واللوجيستي: تمثل في جمع التبرعات والاشتراكات النقدية لصالح الثورة.
- الإمداد الغذائي: تحضير الأطعمة والمؤن وتأمينها لصالح وحدات جيش التحرير الوطني.
- التضحية الاقتصادية: برزت من خلال تقديم النساء لحليهن ومجوهراتهن الشخصية وبيعها لشراء الأدوية، والأسلحة، والمستلزمات الحيوية للمجاهدين.

إن هذه الجهود والإسهامات الإنسانية الموازية قد شكّلت صمام أمان نجح في إخراج العمل الثوري من أدق مراحل الحساسة، وأثبتت من خلالها المرأة الجزائرية كفاءة

عالية في إسناد المشروع التحرري الوطني خلال الفترات العصبية من تاريخ الكفاح المسلح.<sup>1</sup>

تسامت تضحيات المرأة الجزائرية لتتجاوز حدود الأرياف المترامية بين القمم الشامخة والوديان السحيقة، ممتدةً بظلالها النضالية إلى قلب الحواضر والمدن، حيث صنعت الماجدات حواضن شعبية لا تقل بسالةً وعطاءً في ردف الثورة التحريرية، ومقارعة آلة البطش الاستعمارية العاتية.

وقد تنوعت مجالات جهادها في زوايا المدن وأزقتها؛ فغدت بلسماً يداوي جراح الثوار عبر الطبابة والتمريض والإرشاد الاجتماعي، وتحولت إلى عينٍ لا تنام للثورة تنقل الأسرار والمعلومات وتؤمن قنوات التواصل بين الفدائيين والمجاهدين، فضلاً عن انخراطها الجسور كـ "مسبلة" وفدائية في خطوط المواجهة الأمامية.

لقد تلاحمت هذه الأدوار الريادية لتشكل ملحمة كفاحية متكاملة، دفعت بمسيرة التحرير نحو غايتها المنشودة، معلنةً بزوغ فجر الانتصار، والانعتاق النهائي من ليل الاستعمار الفرنسي الذي جثم طويلاً فوق صدور الجزائريين.<sup>2</sup>

وقد شكّل الإرث النضالي للحركة الوطنية على مدار نصف قرن رافداً أساسياً استمدت منه المرأة الجزائرية مقومات وعيها الفكري والسياسي، مما أهلها لمواكبة الراهن الثوري والمساهمة الفاعلة في الكفاح المسلح إبان الثورة التحريرية. وتحت وطأة هذا التحول التاريخي، تحولت المناضلة الجزائرية إلى رمزٍ ملهمٍ للتحرر النسوي على المستويات المحلية والعربية والدولية، وتمكنت من إيصال صوت القضية الوطنية إلى المحافل العالمية بفضل تضحيات بطولية جسّدتها أيقونات الثورة؛ من

<sup>1</sup> عبد الكريم بوصفصاف وآخرون القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، ج 1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003، ص 08.

<sup>2</sup> عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المصدر السابق، ص 11.

أمثالهن: جميلة بوحيرد، جميلة بوعزة، جميلة بوباشا، مليكة قايد، حسبية بن بوعلي، فضيلة سعدان، مريم بوعتورة، وسعدية بن سليمان، وغيرهن كثيرات.

وضمن مقارنة مقارنة، يتبين أنه على الرغم من العزلة التي فرضها المستعمر الفرنسي وحالت دون مشاركة المرأة الجزائرية في تطور حركات الإصلاح النسوية العربية، إلا أن كفاحها الميداني تجاوز الأطر النظرية لتلك الحركات، مقدمةً للعالم أسمى الدروس في التضحية والفداء والالتزام بالقضايا المصيرية<sup>1</sup>.

"وفي هذا السياق، حرصت أدبيات الثورة والعديد من المؤلفين والمؤرخين على توثيق الاستماتة والجهود الاستثنائية التي بذلتها المرأة الجزائرية إبان حرب التحرير؛ مستحضرين نماذج بطولية تتقدمهن الشهيدة «حسبية بن بوعلي» ورفيقاتها من الشهديات والمجاهدات اللواتي ناضلن في سبيل السيادة والاستقلال. وقد عكس المسار النضالي للشهيدة حسبية بن بوعلي نمطاً متطوراً من الوعي؛ إذ استهلت نشاطها في الفضاء النضالي الطلابي عبر «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين»، لينتقل التزامها الوطني بعد ذلك من الطابع السلمي والعمل التنظيمي إلى الكفاح المسلح، منخرطةً في العمل الفدائي جنباً إلى جنب مع قادة الثورة وصناعها؛ وعلى رأسهم القائد «العربي بن مهدي»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز. (2001). المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص144.

<sup>2</sup> آمنة بواشري بنت بن ميرة. (2006). العولمة والثورة التحريرية الجزائرية 1954-2005: دراسة في مقومات وخصائص الثورة التحريرية الجزائرية والدور الذي تلعبه في مواجهة التحديات الراهنة. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ص93.

### ثالثاً- تنامي الوعي السياسي والحقوقى لدى النساء

ولم تكن المرأة الجزائرية بمعزلٍ عن الصياغة السياسية لآليات الثورة؛ إذ لم تُستبعد من الفضاءات التنظيمية، بل سجلت حضوراً فاعلاً في الندوات واللقاءات التي كان يعقدها المفوضون السياسيون. وقد ساهم الشغور الذي خلفه غياب الرجال في الجبهات والمحتشدات في تسريع وتيرة الاعتماد الذاتي للمرأة وتطوير مهاراتها في تدبير الشأن المعيشي واليومي، وهو ما شكّل واقعاً جديداً ومكتسباً ثورياً استحال التراجع عنه لاحقاً.

وفي هذا الإطار، أدركت القيادات السياسية والعسكرية للثورة الأهمية الاستراتيجية لتفويض جزء من المسؤوليات للنساء ومنحهن هامشاً للمبادرة وإدارة الأزمات، وهي الصلاحيات التي امتد أثرها وسلطانها حتى إلى مرحلة ما بعد الاستقلال وتحقيق السلم. وقد تجسد هذا النضال السياسي والميداني بشكل ملموس خارج نطاق الواجبات التقليدية اليومية، عبر تشكيل لجان نسوية منظمة ضمت الطالبات والممرضات، مما أرسى قواعد مؤسسية للعمل النسوي الثوري.<sup>1</sup>

أما على الساحة الخارجية وفي فضاء المهجر، فقد برزت قامات نسوية تركت أثراً فكرياً ونضالياً عميقاً، وفي مقدمتهن حفيذة الأمير عبد القادر، السيدة «عادلة بيهم الجزائري»، التي لعبت دوراً رائداً في مأسسة العمل النسوي العربي من خلال مساهمتها في تأسيس «الاتحاد النسائي العربي» بدمشق عام 1937، فضلاً عن جهودها التربوية المتمثلة في إنشاء مدرسة «دوحة الأدب» لتعليم الإناث. وقد تجلّى

<sup>1</sup> أندريه ماندوز. (2007). الثورة الجزائرية عبر النصوص. ترجمة ميشال سطوف. الجزائر:

المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ص112-113.

ارتباطها العضوي بالقضية الوطنية في مبادرتها سنة 1939 للتكفل بالتعليم الأكاديمي للفتيات الجزائريات الوافدات من البيئة المستعمرة، غير أن اندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون تجسيد هذا المشروع التربوي.

ولم يقتصر إسهامها على الشق المعرفي؛ بل انخرطت السيدة عادلة بيهم في المقاومة السياسية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في المشرق العربي، وسارعت عقب اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 إلى تسخير نشاطها الجمعي والنسوي لدعم كفاح الشعب الجزائري، متصدرة حملات جمع التبرعات والإسناد المالي واللوجستي لصالح المجاهدين، لتشكل بذلك نموذجاً للدبلوماسية النسوية الداعمة للقضية الجزائرية في الخارج.<sup>1</sup>

وقد اكتسب الحراك النسوي الجزائري المنظم صبغةً عالمية وزخماً دبلوماسياً بارزاً، نجحت من خلاله المرأة الجزائرية في تدويل قضيتها وإسماع صوتها في المحافل الدولية. وتجلّى هذا الحضور الاستراتيجي في مشاركتها الفاعلة ضمن أشغال المؤتمر الدولي الرابع للاتحاد النسائي الديمقراطي المنعقد بمدينة فيينا عام 1958؛ حيث تميز الخطاب النسوي الجزائري آنذاك بنضجه السياسي وأولوياته الاستراتيجية، إذ تجاوز الأطر التقليدية للمطالب النسوية الفئوية—كالحق في العمل أو تحسين الظروف المعيشية—ليتمحور حول القضية الأم. وقد ركزت المداخلات النسوية على المطالبة بوقف حرب الإبادة والاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري، معتبرةً أن

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز. (2001). المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. ص.26.

التحرر الوطني هو المدخل الأساسي والشرط الحتمي لتحقيق أي مكتسبات اجتماعية أو حقوقية للمرأة.<sup>1</sup>

وعلى الرغم من الأهمية الرمزية للدور الذي اضطلعت به المرأة الجزائرية في الخارج، إلا أن القراءة النقدية والموضوعية لهذا النشاط تظهره محدداً ومفتقراً لآليات عمل مؤسسية وبرامج ميدانية ذات أثر مباشر وملحوس على مجريات الثورة أو على الواقع العام في الداخل الجزائري؛ إذ انحصر التوثيق التاريخي في رصد مبادرات فردية لبعض النخب النسوية. ولا ينطلق هذا التقييم النقدي من خلفية التقليل من قيمة النضال النسوي في المهجر، بقدر ما يسعى إلى تحديد حجم المساهمة الفعلية وضبط سياقها؛ حيث يجد هذا القصور تفسيره السوسيولوجي والسياسي في طبيعة الهيمنة الاستعمارية الفرنسية وسياستها الحصارية الشاملة. فقد عمل الاستعمار على تقويض مقومات النهضة المجتمعية (للرجل والمرأة على حد سواء)، وعطلّ الحركية التنموية والفكرية، ممارساً سياسة التتكيل وطمس الهوية الوطنية عبر محاولات قسرية لفرض نموذج التغريب، مما أعاق مأسسة الجهود النسوية وحال دون وصول صوتهن إلى المحافل الإقليمية والدولية بالزخم المطلوب.

شارك اتحاد النساء الجزائريات في العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية، وساهم في النضال السياسي دفاعاً عن القضية الجزائرية، وهو ما جعل نساء العالم يعربن عن نصرتهن للقضية الجزائرية ولكفاح الجزائر، وأعربت المنظمات العالمية للنساء تضامنها " لفائدة مئات الآلاف من اللاجئين من النسوة والأطفال والشيوخ الفارين من هول الحرب"، وعاضدت منظمة اتحاد النساء الجزائريات من خلال حضورها

<sup>1</sup> أنيسة بركات درار، مرجع سابق، ص 56.

ومشاركتها في المؤتمر التأسيسي لاتحاد النساء الجزائريات المنعقد بتونس سنة 1960.<sup>1</sup>

إن الجهود السياسية والاجتماعية التي نهضت بها المرأة الجزائرية في القواعد الخلفية للثورة الجزائرية في كل من تونس والمغرب الأقصى، قد نشطت حركية وفاعلية مؤسسات الثورة في الخارج بما فيها المجتمع الجزائري والمتمثل في فئة اللاجئين والجالية الجزائرية المقيمة هناك، بحيث استطاعت المرأة الجزائرية بفضل الثورة الجزائرية التعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية، وبث الأمل في الحياة الاجتماعية للجالية الجزائرية بما فيهم اللاجئين الجزائريين، وبالتالي لم يقتصر دور المرأة على الإيواء والمساعدة وتحضير الطعام، بل تعداه إلى المشاركة الفعلية في معركة التحرير.<sup>2</sup>

وتأسيساً على ذلك، فإن كوابح الحقبة الاستعمارية تقدم تبريراً موضوعياً لضعف الفاعلية الخارجية للمرأة، دون أن يلغي ذلك دورها ومكانتها المحورية داخل البنية الاجتماعية؛ إذ أضفت تلك الإسهامات عمقاً معنوياً لا يمكن تجاوزه في تمثين الجبهة الداخلية وتماسك النسيج المجتمعي. فقد تصدرت النساء الصفوف الأولى للمواجهة المباشرة مع المستعمر تعويضاً للشغور الناجم عن التحاق الرجال بجبهات القتال، أو استشهادهم، أو اعتقالهم. وبناءً عليه، اكتسبت وضعية المرأة الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية طابعاً استثنائياً ومعقداً؛ جراء تخلف المنظومة التنموية

<sup>1</sup> Meynier Gilbert, Histoire Intérieure du FLN 1954-1962, Editions casbah, Alger, 2003

<sup>2</sup> مقنوش كريم ، النضال السياسي والاجتماعي للمرأة الجزائرية في القواعد الخلفية للثورة الجزائرية في تونس والمغرب الأقصى، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، المجلد 06 ، العدد 02 جويلية 2025، ص119.

والفكرية للبلاد ككل مقارنة بنظيراتها في العالم العربي، بسبب عقود من السياسات الاستعمارية الاستيطانية التي امتدت لقرن وثلث القرن (132 سنة) وعطلت المسار الطبيعي للنهضة والتطور.<sup>1</sup>

#### رابعا - تغير الخطاب الاصلاحى حول المرأة

حظيت قضية النهوض بالمرأة الجزائرية وترقية مكانتها الاجتماعية باهتمام عميق في الفكر الإصلاحي للشيخ عبد الحميد بن باديس؛ وتجلّى ذلك إجرائياً عقب تأسيسه لـ«جمعية التربية والتعليم الإسلامية» ومدرستها التاريخية في قسنطينة، حيث بادر بفتح أقسامٍ نظامية خاصة بالإناث، في خطوةٍ ريادية تُعد الأولى من نوعها في سياق الجزائر الواقعة تحت النير الاستعماري. ولضمان ديمومة هذا المشروع الاستراتيجي وتفكيك العوائق السوسيواقتصادية، أدرج القانون الأساسي للجمعية بنداً تشريعياً يقضي بإقرار مجانية التعليم للفتيات تحفيزاً لهن على الاندماج في بيئة تعليمية كانت تعاني من ركودٍ شبه تام قبل المجهودات المؤسسية لـ«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»؛ إذ نص القانون صراحةً على استحقاقهن للتعليم: «سواءً كنّ قادراتٍ على دفع مصاريفه أم عاجزاتٍ عن دفعها، وذلك تشجيعاً لهن على الإقبال للدراسة والمواظبة عليها».<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مجلة آف مج 10 ع 1، 31 جانفي 2023.

<sup>2</sup> مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-

1939، عالم الأفكار، الجزائر 2011، ص 109

وقد عمم الإجراء على كافة مدارس الجمعية بكل القطر الجزائري، ونذكر من هذه المدارس دار الحديث بمدينة تلمسان التي أسسها محمد البشير الإبراهيمي عام 1937.<sup>1</sup>

وبالموازاة مع هذا المسار التعليمي النظامي، جرى تفعيل الدور الحضاري للمساجد كحواضن تربوية للإناث؛ حيث خُصت لهن أجنحة مستغلة داخل هذه المرافق الدينية لغرض التثقيف، والتعليم، وحضور خطب الجمعة. ولم يكن هذا التحول التنظيمي جهداً يسيراً، بل شكّل ثمرة نضال مرير ومواجهة ممنهجة ضد رواسب الجهل والأمية. وفي هذا الإطار، حظيت المسألة النسوية بعناية بالغة من خلال الخطاب الإصلاحي الذي دعا إلى رعاية شؤون المرأة وترقيتها داخل الفضاء الأسرى وخارجه، بالتزامن مع التثديد الصارم بالعادات والتقاليد البالية، والدعوة إلى نبذ الممارسات العرفية التي تُعطل دورها المجتمعي وتتنافى مع مقاصد الشريعة الإسلامية.<sup>2</sup>

تأسست الرؤية الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين على مقاربة شمولية، اتخذت من «البيت» و«المدرسة» ركيزتين بنيويتين في تنشئة الأجيال؛ وفي هذا السياق، أكد الشيخ عبد الحميد بن باديس المحورية الاستراتيجية للأسرة، معتبراً البيت المدرسة الأولى والمصنع الأساسي لتكوين الرجال، ومُرجعاً استقامة الدين والخلق إلى التنشئة الإيمانية للأم. كما شخّص ابن باديس مظاهر الضعف القيمي لدى الرجال بوصفها

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي مدرسة دار الحديث، مجلة البصائر، العدد 81، س 4، مج 4، الجمعة 12 رجب 1356، الموافق 17 سبتمبر 1937، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 2005، ص 246)

<sup>2</sup> يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 27-28،

نتاجاً مباشراً لغياب التربية الإسلامية داخل المحيط الأسري، الناجم بدوره عن أمية الأمهات وفقر وعيهن الديني. ومن خلال هذا التشخيص الدقيق لمواطن الخلل السوسيوولوجي في المجتمع، ربط الإصلاحيون بين النهوض الحضاري وقدرة المرأة على صياغة وعي الناشئة، مما دفعهم إلى طرح المسألة النسوية كقضية حوارية ملحة لتجاوز حالة الركود والتماطل في معالجة هذه الظواهر الأخلاقية والتربوية.

وتأكيداً لهذا الطرح من منظور نسوي عاصر تلك الحقبة، نشرت إحدى الكاتبات الجزائريات مقالاً تحليلياً في جريدة «المنار» رصدت فيه واقع المرأة تحت النير الاستعماري؛ حيث صاغت أطروحة نقدية لافتة تفيد بأن المرأة الجزائرية تزرع تحت وطأة «اعتقال مزدوج»: يتمثل أولهما في «معتقل الاستعمار» وسياساته الممنهجة لتثويبه صورة المرأة المسلمة، بينما يتمثل ثانيهما في «معتقل الجمود الاجتماعي» الذي يفرضه دعاة العادات والتقاليد البالية والموروثات العرفية المنافية لجوهر الشريعة الإسلامية الحنيفة. وبناءً على هذا التحليل، دعت الكاتبة إلى التحرر من تلك القيود المكبلة، وتمكين المرأة من حقها في التعليم والمشاركة الفاعلة في الحركة المجتمعية، لتتبوأ مكانتها الطبيعية إلى جانب الرجل في معركة التحرر الوطني ضد الوجود الاستعماري.<sup>1</sup>

وقد ارتكز المشروع الإصلاحي للشيخ عبد الحميد بن باديس على محورية العملية التعليمية كوسيلة لحماية مقومات الهوية والقومية العربية الإسلامية، داعياً إلى التمسك بالأصالة وقيم الاحتشام لدى المرأة الجزائرية، في مقابل رفض أشكال المحاكاة والتقليد الأعمى للنموذج الغربي. وفي هذا السياق، أفرد ابن باديس مقالاً نقدياً في جريدة «المنتقد» عالج فيه أبعاد ظاهرة التقليد ومخاطر التغريب، محذراً من

<sup>1</sup> فضيلة أحمد، حق المرأة الجزائرية في النهضة، جريدة المنار العدد 46 س 3، الموافقة لـ 24 جويلية 1953، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007، ص 4

الانسياق وراء المظاهر الشكلية للحدثة على حساب الجوهر المعرفي؛ حيث جاء في طليعة مقارنته: «نظنُّ أنّ بنات الأستانة قد طاح الفألُ عندنا من نموذجهن، لكن في التبرج والتفرنج لا في التعليم والتقدم،<sup>1</sup>

وقد أشارت بعض الوثائق الفرنسية أن برنامج تعليم البنات مغاير لما عليه بقية البرامج التعليمية الأخرى فقد احتوى على المبادئ الأساسية للتعليم والأخلاق والتدبير المنزلي ورعاية الأطفال وغير ذلك مما تختص به المرأة لأنوثتها.<sup>2</sup>

كان الشيخ ابن باديس يخرج بنفسه ليطوف على الناس في المتاجر ويجمع الاشتراكات ويروج لتعليم البنات وبحث الناس على ذلك، وكتب في هذا الشأن عدة مقالات بجريدة الشهاب والبصائر حول تعليم المرأة والاعتناء بها،<sup>3</sup> لأن التعليم يستفيد منه الأولاد دون البنات اللهم إلا إذا كانت هناك عائلات غنية تستأجر شيخا مسنا تعهد إليه بتأديب بناتها، لأن العادات لم تكن تسمح لهن في الوسط الجزائري بالاختلاط في المدارس التي يوجد بها الأولاد، كما أنها لم تكن تسمح بتخصيص مدارس خاصة بهن ، لأن تعليم البنت هو من الأمور الثانوية التي لا يولون لها أهمية".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد الحميد بن باديس "ملاحظاتي"، جريدة المنتقد، العدد 10 ، الخميس 14 صفر 1344 الموافق لـ 3 سبتمبر 1925 ، شركة العلا للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، 2015، ص 187.

<sup>2</sup> مازن صلاح حامد مطبقاني، المرجع السابق، ص 109.

<sup>3</sup> يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، المرجع السابق، ص 27-28

<sup>4</sup> حميد بن سالم ، مرجع سابق، ص 36.

وفي ذات السياق، حذر ابن باديس بصراحة من خطورة تنكّر المرأة لقوميتها وهويتها؛ مستشرفاً الانعكاسات الوخيمة لـ«الاغتراب الثقافي» على التماسك المجتمعي، وما قد ينتج عنه من نشوء جيلٍ فاقِدٍ للانتماء الوطني، والعروبي، والديني. ومن هذا المنطلق الفكري، قرر ابن باديس مقارنةً استثنائية فضلّ فيها المرأة البسيطة (الأمية) المستمسكة بأصالتها وجذورها الوطنية، على المرأة المتعلمة المنسلخة من مقومات هويتها العربية الإسلامية.

وتأسيساً على ذلك، خاض رواد الحركة الإصلاحية مواجهة فكرية مزدوجة ضد الأطروحات الاستعمارية من جهة، وضد غلاة التغريب من المستوطنين من جهة أخرى، والذين اتخذوا من الدعوة إلى نزع حجاب المرأة بدعوى محاربة «العادات البالية» ذريعةً لتفكيك البنية الاجتماعية الجزائرية. وقد فطنت جمعية العلماء المسلمين للمقاصد الجيوسياسية والثقافية الخفية لهذا المسعى الاستعماري؛ فرفعت شعارها التاريخي الداعي إلى «رفع حجاب الجهل عن عقل المرأة قبل رفع حجاب الستر عن وجهها»، مستشهدةً بالعمق التاريخي للحضارة الإسلامية، حيث بلغت المرأة في حواضر كقرطبة، وبغداد، وبجاية مراتب علمية وفكرية سامية دون أن يشكّل حجابها عائقاً أمام تميزها المعرفي. وبناءً عليه، خلص الإصلاحيون إلى أن المقاربة الاستعمارية لتحرير المرأة لم تكن سوى محاولة لفتح جبهة اختراق ثقافي، تستهدف من خلالها الإدارة الفرنسية تقويض الحصانة القيمية للأمة الإيجابية.<sup>1</sup>

حظيت المسألة النسوية باهتمامٍ بالغ في فكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس؛ إذ كان يرى في المرأة الركيزة الأساسية والعضد المساند لإنجاح الحركة الإصلاحية، القائمة في فلسفتها على الشمولية والتكاملية بين مختلف الفئات المجتمعية. وضمن هذا

<sup>1</sup> سليمان عشراتي ابن باديس رؤى وقراءات في تفاصيل المسيرة، ج 3، دار ألف عين الدفلى، الجزائر،

التصور، اعتبر ابن باديس أن الدور النضالي والتربوي للمرأة وراء الرجل يمثل حتمية حضارية لا غنى عنها، مشبهاً الأمة التي تحرم إناثها من الرعاية والتعليم بالطائر الذي يحاول التحليق بجناح واحدة، وبأن إقصاءها يجعل من المجتمع جسداً مبتور الأعضاء.

وقد تجلّت ثمار هذه المقاربة التعليمية في الوسط النسوي بشكل ملموس، مفرزةً مردوداً تربوياً واجتماعياً إيجابياً يعكس حجم الجهودات المؤسسية التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين في هذا الميدان. ولم تقتصر هذه الرؤية على الأطر النظرية الفردية، بل تُرجمت إلى برامج عمل جماعية؛ حيث شهدت أشغال المؤتمر الإسلامي الجزائري الثاني المنعقد عام 1937 مناقشة محاور استراتيجية متعددة، جاء في طليعتها بندان أساسيان يعنيان بتعليم المرأة وتهذيبها، باعتبار التمكين المعرفي للمرأة المدخل الحتمي لتحسين الهوية والحفاظ على التماسك البنيوي للمجتمع.<sup>1</sup>

وقد استهدفت التربية الباديسية تأهيل المرأة وتنمية قدراتها العقلية والاجتماعية والخلقية، وحتى في الجانب الاقتصادي من خلال الاعتماد على الذات في تسيير شؤون أسرتها وتلبية حاجياتها الأولية بالرجوع إلى الصناعات التقليدية، وهذا لأجل التكيف والتأقلم مع بيئتها الخارجية الصعبة في ظل السياسة الاستعمارية المقبحة.<sup>2</sup>

كما اعتبر أن الأفضلية بين الرجل والمرأة تتجسد فقط في الأنفع و الأصلح للمجتمع والأمة الإسلامية فالسيادة حظ العاملين وهم على درجات حسب الكفاءة والقدرة.<sup>3</sup>

إن المرأة بحكم وظيفتها الاجتماعية تعتبر متممة للرجل وهو مكمل لها فالأمة التي تهمل شأن نساءها تنتج جيل تسوده الأمراض الاجتماعية، ولان الجزائر كانت تعيش

<sup>1</sup> حميدي بويكر الصديق، مرجع سابق، ص 104.

<sup>2</sup> أحمد مريوش المرجع السابق، ص 228

<sup>3</sup> سليمان عشراتي المرجع السابق، ص 29

في ظل قوانين استعمارية منع من خلالها الأهالي من التعليم فالقليل منه أفضل من عدمه، وربط البعض من أهلها أن الحجاب هو الذي أخرها وأنها بحاجة للعلم لتستطيع الاختيار في هذا الأمر.<sup>1</sup>

لقد توجه المصلحون الجزائريون، في خضم المشاكل التي طرحها تطوّر المرأة المسلمة في المجتمع الحديث لا سيما خلال فترة الثلاثينات، إلى تذكير أتباعهم بالحياة المثالية لبعض النساء الشهيرات في بداية الإسلام، اللاتي وفقن تمامًا في الموازنة بين دينهن ونشاطاتهن الاجتماعية، وضربوا مثالاً في هذا السياق القرشبية؛ الشفاء بنت عبد الله، التي كانت تحسن الكتابة، وعلمتها لغيرها من المسلمات، وكانت بشخصيتها القويّة، تُناقش الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بعض المسائل الفقهية، كما أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كلفها ببعض المهام ومنها الحسبة لصالح الدولة الإسلامية.<sup>2</sup>

لعل أهم المسائل التي ناقشها إبراهيمي باهتمام وبوعي . مسألة تحرير المرأة عن طريق تعليمها؛ فالإبراهيمي يرى أنه لا يوجد دين حرّ المرأة وكرّمها مثل الدين الإسلامي، ومن مظاهر ذلك التسوية بينها

كافح الإبراهيمي بقلمه الفذ وناقح بأسلوبه الفريد للرد على هؤلاء وهؤلاء، وسعى لنشر علمه في أوساط الجزائريين المسلمين، وبذل كل ما بوسعه للحفاظ على هوية المرأة العربية إسلامية، والوقوف في وجه دعاة تحريرها . فلقد أكد الإبراهيمي على أن الإسلام قد حرّ العقل وجميع القوى التابعة له، وحرّم ما يعطل طاقاته أو يغيبه.

<sup>1</sup> حمزة بوكوشة، أول مدرسة عربية للمرأة المسلمة، جريدة البصائر، العدد 191، مج 5، ص 5، السلسلة الثانية، الاثنين 2 رمضان 1371 الموافق 26 ماي 1952، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006، ص 92.

<sup>2</sup> مراد : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ص 405

والعقل هو القوة المميزة للمتضادات والمتعارفات، وهو مناط التكاليف الدينية والدينيوية، لكنه قد يطراً عليه ما يطراً على الموازين المادية من الاختلال فيتعطل أو ينعكس إدراكه، والإسلام يعلو بتقدير العقل والفكر إلى أعلى درجة، ويقرّر أن إدراك الحقائق العليا في الدين أو الكون إنّما هو حظ العقول الراجحة، وأن العقول المريضة والأفكار العقيمة تهبط بصاحبها<sup>1</sup>.

بخصوص مسألة تحرير المرأة، فالإبراهيمي يرى أنّ المرأة حرّرها الإسلام حينما حرّر العقل، قبل أن يفكر الغرب في تحريرها، وفي محاضرة له بعنوان "الرق في الإسلام، يكتب: " حرّ الإسلام المرأة من ظلم الرجال وتحكمهم، فقد كانت المرأة في العالم كله في منزلة بين الحيوانية والإنسانية؛ بل هي إلى الحيوانية أقرب، تتحكّم فيها أهواء الرجال وتتصرّف فيها الاعتبارات العادية المجردة من العقل، فهي حيناً متاع يتخطف، وهي تارة كرة تتلقّف، تعتبر أداة للنسل أو مطية للشهوات، وربما كانت حالتها عند العرب أحسن، ومنزلتها أرفع، يرون فيها عاملاً من عوامل ترفيق العواطف وإرهاق النفس، ودواء لكثافة الطبع وبلادة الحس، ويجدون فيها معاني جليّة من السّمو الإنساني، وأشعارهم - على كثرتها - عامرة بالاعتراف

بسلطان المرأة على قلوبهم وبشرح المعاني العالية التي يجدونها فيها، ولا عبرة بما شاع عنهم ومن وأد البنات، فإنّه لم يكن عاماً فاشياً فيهم، وتعليله عند فاعليه يشعر أنه نتيجة حبّ طغى حتى انحرف، وأثر عقل أشرف في تقدير العواقب، لا نتيجة

<sup>1</sup> ناصر أحمد سنه ملامح الفكر التجديدي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، موقع إلكتروني.

كراهية لنوع الأنثى، وعلى كل حال فالواد خطأ كبير، وجريمة شنيعة، وشدوذ في أحكام الرجال خارج عن نطاق الإنسانية<sup>1</sup>.

بين العلامة محمد البشير الإبراهيمي أن الإسلام كفل للمرأة المكانة التي تستحقها ومنحها حقوقها المادية والمعنوية، وشرع مساواتها بالرجل في التكاليف الشرعية: " وجاء الإسلام فنبه على منزلتها وشرفها وكرم جنسها، وأعطاهما كل ما يناسب قوتها العقلية وتركيبها الجسمي، وسوى بينها وبين الرجل في التكاليف الدينية، وخاطبها بذلك استقلالاً وتشريفاً لها، وإبرازاً لشخصيتها، ولم يجعل للرجل عليها سبيلاً في كل ما يرجع إلى دينها وفضائلها، وراعى ضعفها البدني بالنسبة إلى الرجل، فأراحها من التكاليف المادية في مراحل حياتها الثلاث، من يوم تولد إلى يوم تموت، بنتاً وزوجاً وأماً .. وموضحاً قيمة حرية المرأة التي أعطاها الإسلام في نفسها وفي مالها بقوله: " ... فالإسلام أعطى المرأة وأولادها من الإعزاز والتكريم ما لم يعطها إياه دين آخر ولا قانون وضعي، وأعطاهما حق التصرف في أموالها، وحق التملك من دون أن يجعل للزوج عليها من سبيل<sup>2</sup>.

إن المتفحص لنظرة العلماء إلى المرأة الجزائرية يجد أنها تميزت بالواقعية والإنسانية، بالنظر إلى الظرف العصيب الذي كانت تمر به الجزائر في ذلك الوقت، وقد تناول العلماء المشاكل الأساسية التي تعاني منها الفتاة الجزائرية، والتي رغم حفاظها على عفتها وأصالتها، فقد ظلت ترزح تحت كابوس الجهل والتخلف الحضاري نتيجة

<sup>1</sup> أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الامام محمد البشير الابراهيمى، ج 1، 1929-1940، دار الغرب الاسلامى، بيروت، 1979، ص 360.

<sup>2</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 361.

للبؤس الجاثم والاضطهاد الشديد من طرف الإدارة الاستعمارية، منذ أن سقطت الجزائر في مخالب الامبريالية والرأسمالية الفرنسية في ذلك الوقت<sup>1</sup>.

ولئن كان ابن باديس يُمثل بالنسبة إلى الجزائر قمة الفكر الإسلامى المعاصر، فإنه بإمكاننا أن نعد الشيخ الإبراهيمى بالنسبة إليها ، قمة الثقافة الوطنية ذات التعبير العربى، فبقدر ما كان الأول مجددًا للعلوم الدينية، يمكن اعتبار الثانى مجددًا للسان العربى، ومفكرا يحمل أبعادًا إنسانية عالمية، فكان رحمه الله - مصلحًا ومجددا اجتماعيا بامتياز في هذا الجزء من المغرب العربى<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> عبد الكريم بوالصفاى ، مصدر سابق، ص 57-59.

<sup>2</sup> على مراد، المرجع السابق، ص. 105.

خاتمة

يمكن القول إن مسألة المرأة لم تكن مجرد قضية اجتماعية هامشية في فكر النخبة الإصلاحية، بل كانت مشروعاً استراتيجياً ومحوراً جوهرياً في معركة إثبات الهوية الوطنية ومقاومة المشروع الاستعماري الفرنسي. ومن خلال تتبع المسار التاريخي وتحليل الخطاب الصحفي الإصلاحي خلال هذه الفترة الحافلة، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج والاستنتاجات الأساسي، حيث أكدت الدراسة أن واقع المرأة الجزائرية قبل عام 1931 كان نتاجاً لثنائية مريرة: سياسة استعمارية تجهيلية وممنهجة هدفت إلى عزل المجتمع وتغريبه، وموروث اجتماعي محلي اتسم ببعض العادات والتقاليد البالية التي أساءت للمرأة وحرمتها من حقوقها المشروعة في التعليم والتمكين، وهو ما جعل من إصلاح واقعها ضرورة ملحة لا غنى عنها.

كما أثبت البحث أن الصحافة الإصلاحية الجزائرية، لاسيما جريدة "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين، وصحف الرواد كأبي اليقظان والشيخ بيوض، نجحت في تحويل قضية المرأة من مجال "النقاشات الفقهية المغلقة" إلى "قضية رأي عام" عبر منبر الصحافة. وقد امتاز خطاب رواد الإصلاح (ابن باديس والإبراهيمي نموذجاً) بالعقلانية والوسطية، حيث دافعوا عن حق المرأة في التعليم باعتباره المدخل الأساسي لإعداد "الأم الواعية" القادرة على تربية جيل التحرير.

واتضح جود تطور ديناميكي وتدرج منطقي في الخطاب الإصلاحي الصحفي؛ إذ بدأ في الثلاثينيات خطاباً دفاعياً يركز على الحقوق الأساسية (كالتعليم، ومحاربة الأمية، ونبذ الشعوذة، وتصحيح المفاهيم الدينية)، ثم تحول عقب الحرب العالمية الثانية (1945-1954) إلى خطاب أكثر راديكالية ونضجاً، واکب تنامي الوعي السياسي والحقوقى للمرأة، ودفع بها نحو الانخراط في الجمعيات النسوية والعمل النضالي الحزبي.

و خلصت الدراسة إلى أن هذا الشحن الفكري والتوعوي الذي قاده الصحافة الإصلاحية كان بمثابة "المرحلة الجنينية" التي سبقت العمل المسلح. فلولا تلك

الأرضية الخصبة من الوعي التي زرعتها المقالات والمدارس الإصلاحية، لما شهدنا ذلك الانخراط الأسطوري والمباشر للمرأة الجزائرية في ثورة أول نوفمبر 1954 كفدائية، ومجاهدة، وممرضة، وحاضنة للثورة.

## المراجع والمصادر

العربية :

1. الابراهيمى محمد البشير الابراهيمى. آثار محمد البشير الابراهيمى الجزء 4 الطبعة 1 دار الغربى الاسلامى لبنان 1997.
2. إبرير الطاهر، وبنادي محمد الطاهر، "قضايا المرأة الجزائرية من خلال الصحافة الإصلاحية فيما بين 1919-1954."مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 12، العدد 1، أبريل 2021.
3. ابن باديس عبد الحميد. مجالس التذكير. من الحديث البشير النذير الطبعة 1 دار البعث الجزائر 1983.
4. أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954) ، ج6، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
5. أبو اليقظان "ما" هكذا الدفاع عن الحجاب"، وادي ميزاب عدد 119، (01/02/1929).
6. أبو اليقظان المرأة الجزائرية والحجاب"، وادي ميزاب عدد 62 (23/12/1927).
7. أبو اليقظان، "حكمة التشريع الإسلامي"، وادي ميزاب عدد 72 (02/03/1928).
8. أبو اليقظان، "دفع التباس"، المغرب، عدد 25، (18/11/1930).
9. اجيرون شارل روبير الجزائريون المسلمون وفرنسا 1872 1919م. الجزء 2. ترجمة محمد حاج مسعود واحمد بكلي دار الرائد الجزائر 2007م.
10. اجيرون شارل روبير تاريخ الجزائر المعاصرة. ترجمة عيسى عصفور الطبعة 1. عويدات لبنان 1982م.
11. أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الامام محمد البشير الابراهيمى، ج 1، 1-1929-1940، دار الغرب الاسلامى، بيروت، 1979
12. أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ج 1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط 1، 2013.

13. آمنة بواشري بنت بن ميرة. (2006). العولمة والثورة التحريرية الجزائرية 1954-2005: دراسة في مقومات وخصائص الثورة التحريرية الجزائرية والدور الذي تلعبه في مواجهة التحديات الراهنة. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
14. امين قاسم تحرير المرأة هنداوي مصر 2012 م
15. أندريه ماندوز. (2007). الثورة الجزائرية عبر النصوص. ترجمة ميشال سطوف. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار.
16. أنيسة بركات درار. (1985). نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
17. بارعة النقشبندي.. (2001) المشاركة السياسية للمرأة في الأردن وبعض الدول العربية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
18. بلحسن بالي. (2014). المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962. ترجمة صاري علي حكمت. الجزائر: منشورات ثالة.
19. بن الخوجة مصطفى الاكثراث في حقوق الاناث بونطانة وشريكاه. الجزائر 1313هـ. 1895 م
20. بوصفصاف عبد الكريم الفكر العربي الحديث و المعاصر الجزء 1 دار الهدى الجزائر 2005م
21. جمال يحيياوي، كفاح المرأة الجزائرية دراسات وبحوث حول كفاح المرأة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة الجزائر، 1998.
22. جمعية العلماء المسلمين ، سجل مؤتمر جمعية اعلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
23. حمزة بوكوشة، أول مدرسة عربية للمرأة المسلمة، جريدة البصائر، العدد 191، مج 5، س5، السلسلة الثانية، الاثتين 2 رمضان 1371 الموافق 26 ماي 1952 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006،
24. حميد بن سالم، الثقافة الإسلامية و مكانة اللغة العربية في الجزائر قبل الإستقلال، مجلة اللسان العربي، العدد 01، مكتب تنسيق التعري بالرباط، المغرب، 1964.

25. حميدي بوبكر الصديق قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية 1920/1954 دار الهدى الجزائر 2015 .
26. خالد بوهند. (2017). «مواقف النخب الجزائرية الاندماجية والاصلاحية من قضايا المرأة المسلمة (1919-1939)». في عصور الجديدة. العدد 27. المجلد 7.
27. خليل أحمد خليل. (1982). المرأة العربية وقضايا التغيير: بحث اجتماعي في تاريخ القهر النسائي. بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر.
28. رضا محمد رشيد حقوق النساء في الاسلام المكتب الاسلامي مصر 1404هـ. 1984 علي زهير قضايا المرأة ضمن اهتماماتها الحركة الاصلاحية الجزائرية 1925. 1954
29. زهير بن علي قضايا المرأة في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925-1954 ، رسالة ماجستير، إ: سليمان قريري، قسم التاريخ جامعة الحاج لخضر - باتنة الجزائر 2014/2015
- سعد الله ابوقاسم ابحاث واره في تاريخ الجزائر الجزء 2 الطبعة 1 دار البصائر الجزائر 2007ص 90
30. سعد الله ابوقاسم تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 6 الطبعة 1 دار الغرب الاسلامي لبنان 1998م
31. سليمان عشارتي ابن باديس رؤى وقراءات في تفاصيل المسيرة، ج 3، دار ألف عين الدفلى، الجزائر ، 2005
32. شوقي إبراهيم، "تبرج النساء"، وادي ميزاب، عدد 22 (04/03/1927).
- شيبان عبد الرحمان. من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمع واعداد قسم احياء تراث الجمعية دار المعرفة. الجزائر 2008م
33. عبد الحميد ابن باديس الشهاب مج 8، ج 11، 1932.
34. عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، مج5، ج10، نوفمبر 1929.

35. عبد الحميد بن باديس، "ملاحظاتي". جريدة المنتقد، العدد 10 الخميس 14 صفر 1344 الموافق لـ 3 سبتمبر 1925 شركة العلا للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015 .
36. عبد الرحمان بكلي فتاوي البكري ج 1 المطبعة العربية، غرداية.
37. عبد الرزاق قسوم أبو اليقظان خطورة التحدي وصلابة الاستجابة مجلة الموافقات، عدد 05، منشورات بالمعهد العالي لأصول الدين الجزائر، 1996 .
38. عبد الكريم بوصفصاف وآخرون القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، ج 1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003
39. العرفان، "المرأة العربية في التاريخ"، وادي ميزاب ، عدد 09، (26/11/1926).
40. عصام نور. (2006). دور المرأة في تنمية المجتمع. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
41. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر: محمد يحياتن، الجزائر، دار الحكمة، 2007.
42. عمار بوحوش. (1997). التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
43. عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، مج1، ج2، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، .
44. عمر بن قدور، جهل المرأة المسلمة، جريدة الفاروق العدد 33، الموافق لـ 23 نوفمبر 1913، الجزائر 1913.
45. فاطمة الزهراء قشي. (2010). النساء العربيات في العشرينيات حضورا وهوية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
46. فضيلة أحمد، حق المرأة الجزائرية في النهضة جريدة المنار العدد 46 س 3 الموافقة لـ 24 جويلية 1953. دار البصائر الجزائر، ط1، 2007.

47. قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إياضية الجزائر (1744-1962)، جمعية التراث، ط1، غرداية، الجزائر، 2011.
48. قدادة شايب، "تحولات الحركة الوطنية الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية 1945 - 1954"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، المجلد أ، العدد 30، ديسمبر 2008
49. قرة عائشة، (2018). دور صحافة العلماء المسلمين الجزائريين في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري: قراءة في صحف جمعية العلماء المسلمين. مجلة آفاق للبحوث والدراسات، المجلد 2، العدد 2.
50. كفاح حداد. (2001). المرأة والعمل السياسي. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر.
51. لعماري مريم، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشيط وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية: تحليل مضمون لعينة من صحيفة البصائر 1935-1936. مجلة معارف (MAAREF Revue académique)، العدد 21، 2016.
52. ليون فيكس. (دون تاريخ). الجزائر حتف الاستعمار. بيروت: منشورات مكتبة المعارف.
53. مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، عالم الأفكار الجزائر 2011.
54. مجلة ألف مج 10 ع 1، 31 جانفي 2023
55. محمد البشير الإبراهيمي مدرسة دار الحديث، مجلة البصائر، العدد 81، س 4، مج 4، الجمعة 12 رجب 1356، الموافق 17 سبتمبر 1937، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 2005).
56. محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج3، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997.
57. محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج4، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997، ص133.

58. محمد أمزيان، منهج البحث الإجتماعي بين الوضعية و المعيارية، ط 1، الولايا المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991.
59. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، حقيقة التعليم في فكر الشيخ عبد الرحمان بكلي، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 2011.
60. محمد حربي. (1994). الثورة الجزائرية: سنوات المخاض. ترجمة نجيب عياد. الجزائر: موفم للنشر.
61. محمد خير الدين، مذكرة الشيخ محمد خير الدين، ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ص 123.
62. محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2 ، المطبعة العربية، الجزائر، 2007.
63. محمر العربي الزبيري وعامر رخيطة ولزهر بديدة، (2007). كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية1954-1962. الجزائر: دار هومة.
64. مذكرة ماجستير كلية العلوم الانسانية الاجتماعية جامعة الحاج لخضر باتنة 2014 2015م
65. مراد : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940،
66. مريم العماري، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية، تحليل مضمون لعينة من صحيفة البصائر 1935-1936، المعارف، العدد 21 ، 2016.
67. مقنوش كريم ، النضال السياسي والاجتماعي للمرأة الجزائرية في القواعد الخلفية للثورة الجزائرية في تونس والمغرب الأقصى، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، المجلد 06 ، العدد 02 جويلية 2025
68. مولود عويمر. (2016). « نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ». جريدة البصائر. 29 فيفري. العدد797.

69. نور الدين سوكمال، منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد ابن باديس وإبراهيم بيوض، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2007-2008 .
70. هيفاء زنكة. (2011). المرأة والمشاركة السياسية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
71. يحيى بوعزيز. (2001). المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
72. يحيى بوعزيز، موضوعات و قضايا المرأة الجزائرية و حركة الإصلاح النسوية العربية، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
73. يقدح الزبير، سياسة الإستعمار الفرنسي في الجزائر و ثقافة المقاومة الشعبية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الإجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 2007-2006.

**الاجنبية:**

1-Meynier Gilbert, Histoire Intérieure du FLN 1954-1962,  
Editions casbah, Alger, 2003